" الصبر والجزع في شعر الطغرائي

دراسة تحليلية"

إعداد

د/ إسماعيل محمود محمد أحمد

مدرس الأدب والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين

بالدقهلية - شرقية

" الصبر والجزع في شعر الطغرائي دراسة تحليلية"

إسماعيل محمود محمد أحمد

قسم الأدب والنقد – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالشرقية جامعة الأزهر– فاقوس – جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: IsmailAhmed.sha.b@azhar.edu..eg

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى (دراسة شعر الصبر والجزع عند الشاعر الطغرائي دراسة تحليلية) لها عناصرها التي تُسهم في تشكيل البنية اللغوية والدلالية في النّص الشعري، وتُساعد في نقل آلام الشاعر ومعاناته، وتصوير أحاسيسه ومشاعره، تعبيرًا عن آرائه الفكرية، ونوازعه الإيمانية تجاه مواقف الصبر والجزع، بصورة مباشرة وغير مباشرة، واقتضت طبيعة الدراسة اتباع المنهج (التكاملي) لتعدد جوانبه.. حيث جاءت الدراسة موزعة على قسمين: الأول: العوامل المؤثرة في شعر الصبر والجزع عند الطغرائي.. لبيان موقفه منها، والآخر: الخصائص الفنية؛ للكشف عن مكامن إبداعه من حيث: الألفاظ والأساليب، والعاطفة، والصورة الشعرية، والإيقاع الموسيقي، وقد تبين من خلال الدراسة: أن (الطغرائي) شاعر عبقري مُلهم، يتمتع بصفاء الحس الشعري الذي لا يتوافر عند الكثير من شعراء عصره وما تلاه من عصور، فهو ذلك الغواص الماهر، البصير بجواهر الكلام، المدقق، المرهف الحس والمشاعر الإنسانية الراقية، إذا تصبَّر في شعره مسَّتْ كلماته القلوب، فكانت بردًا وسلامًا عليها، وإذا حزن بكت كلماته وانصهرت، فكانت حممًا من المشاعر والأحاسيس، كما كثر استعماله لمفردة الصبر ومسمياته، في حين كان حضور لفظة الجزع قليلا، وقد عبر عنه الشاعر بالمفردات الدالة عليه كاليأس والبؤس، أو الإيحاء الذي تبعثه مفردات أخرى ضمن سياق التعبير عن جزعه؛ ولهذا مثَّل الجزع الجانب الأكبر في شعره، ويمكن تحليل مثيرات الصبر والجزع، وتحويلها –من خلال هذا الشعر– إلى أنماط سلوكية تغرس الايجابي منها في نفوس أبناء الوطن كبارًا وصغارًا؛ بهدف

بناء مجتمع حضاري قوي، قادر على مواجهه الأزمات بقوة إرادة وعزم لا يلين، وأمل لا يخبو في نيل أجر الصابرين، وقد امتازت خصائصه الفنية بموفور الطاقات الإبداعية، حيث جرت ألفاظه مع أساليبه مجرى السهولة، وانسابت رقة وعذوبة، نائية عن المعجمية الشديدة، أو الألغاز – إلا في القليل النادر– فاشتدت في موضع الشدة، ولانت في مواطن الرقة، وجاءت عاطفته تدور في فلك الصدق والقوة، تنضح بالأسى والحزن، واتسمت صوره بالدقة، والإتقان، حيث أجاد الشاعر استقطابها من الطبيعة والبيئة المحيطة بوسائل وتقنيات مختلفة، ولاحظ الباحث أن التشكيل الإيقاعي الدلالي متوفر عند هذا الشاعر، النقي الفطرة، المتمرس في الدربة، الكامل العُدّة، وهو ما مكنه ليصبح ذلك السباح الماهر، والفحل المشتهر؛ لذا أوصي كل باحث في الأدب أن يولي شعر (الطغرائي) شيء من العناية والاهتمام؛ ففيه الكثير من جماليات النص والارتقاء باللغة في كل المستويات.

الكلمات المفتاحية: الصبر والجزع – في شعر– الطغرائي– تحليلية.

Patience and Anxiety in Al-Tughrai's Poetry, An Analytical Study

Ismail Mahmoud Mohamed Ahmed
Department of Literature and Criticism - Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys in Sharkia - Al-Azhar University - Faqous - Arab Republic of Egypt.
Email: IsmailAhmed.sha.b@azhar.edu..eg

Abstract :
This research aims to study the poetry of patience and anxiety of the Tughrai poet, an analytical study. Directly and indirectly, and the nature of the study necessitated following the (integrative) approach due to its multiplicity of aspects.. The study was divided into two parts: the first: the factors influencing the poetry of patience and anxiety of Al-Tughrai.. to clarify his position on it, and the other: the technical characteristics; To reveal the sources of his creativity in terms of: words, methods, emotion And the poetic image, and the musical rhythm, and it was shown through the study: (Al-Tughrai) is a genius and inspiring poet, who enjoys the purity of the poetic sense that many poets of his time and subsequent eras do not have. And the noble human feelings, if he was patient in his poetry, his words touched the hearts, so it was cold and peace upon them, and if he grieved his words cried and melted, then they were a lava of feelings and sensations, as he frequently used the word patience and its denominations, while the presence of the word alarm was little, and the poet expressed it in the vocabulary of indication on him, such as despair and misery, or the suggestion that other terms send in the context of expressing his anxiety; For this reason, the onyx was the main aspect of his poetry. The stimuli of patience and anxiety can be analyzed, and transformed - through this poetry - into behavioral patterns that instill

positive ones in the hearts of the countrymen, old and young. With the aim of building a strong civilized society, capable of facing crises with strong will and unrelenting determination, and an unfading hope in obtaining the reward of the patient, and his artistic characteristics were characterized by the abundance of creative energies, as his words and methods were easy, flowing with delicacy and sweetness, far from the intense lexicalism Or riddles - except in a rare few - so it became intensified in the place of distress, and you became in the places of delicacy, and his passion revolved around the orbit of honesty and strength, exuding sorrow and sadness, and his images were characterized by accuracy and perfection, as the poet was able to attract them from nature and the surrounding environment using various means and techniques, and the researcher noted The semantic rhythmic formation is available to this poet, who is pure instinct, experienced in the trail, and fully equipped, which enabled him to become that skilled swimmer, and the famous stallion; Therefore, I recommend every literature researcher to give al-Tughrai's poetry some care and attention. There is a lot of aesthetics in the text and the upgrading of the language at all levels.

Keywords: Patience And Anxiety - In The Poetry Of Al-Tughrai – Analytical.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمدًا أرجو أن يبلغني رضاه، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام الصابرين سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

و بعد:

فإن الشعر فن إبداعي أصيل، برع فيه الشاعر العربي منذ البواكير، حيث عاش تقلبات الحياة وشهد تغير أحوالها، وكان راصدًا لتلك الأحداث معللًا ومبررًا، كاشفًا وموضحًا، ناقدًا ومعالجًا، وفوق كل هذا وذاك منفعلًا وفاعلاً في مجتمعه؛ وقد كان أثر ذلك واضحًا في بناء شخصيته، وأحوال نفسيته، ولما كان الشعر – بوصفه أحد ألوان الإبداع – يكشف عن بنية التفكير الإنساني، التي تبحث بدورها عن مجموعة من العلاقات التي تربط بين عناصر هذا التفكير، كان من بين تلك العناصر الصبر والجزع؛ فما من إنسان إلا ويأتيه أمر يكرهه، فهو إما أن يصبر ويحتسب أو يجزع ويخسر، وقد يتأرجح بين الحالين فيكون متنازع الإحساس بينهما؛ من هنا كان اختياري "للصبر والجزع في شعر الطغرائي دراسة تحليلية"، موضوعًا لدراستي؛ لكون الصبر والجزع ظاهرة شائعة في شعره عامة، ولم يفرد لها أحد من الباحثين دراسة خاصة– فيما أعلم– رغم تعدد الدراسات حول هذا الشاعر العبقري الملهم بصفاء الحس الشعري الذي لا نراه عند كثير من الشعراء، وذلك للكشف عن مكامن إبداعه في هذا الجانب من شعره؛ إثراء للمكتبة الأدبية، وإحياء للتراث.

واخترت لدراستي– هذه– المنهج التكاملي الذي ينظر إلى النصّ في تحليله نظرة تكاملية– نفسيًا، وتاريخيًا، واجتماعيًا، وفنيًا، ونقديًا– وذلك لسبر أغوار النص واستظهار جمالياته، والدلالات الكامنة فيه.

ورسمت خطة البحث وقسمته على: مقدمة، وتمهيد، وفصلين جاء الأول منهما بعنوان: العوامل المؤثرة في شعر الصبر والجزع عند الطغرائي، وقسمته إلى مبحثين: الأول: العوامل الذاتية، والآخر: العوامل الاجتماعية.

ثم جاء الفصل الثاني بعنوان: الخصائص الفنية في شعر الصبر والجزع عند الطغرائي، وتناولته في أربعة مباحث: الأول: الألفاظ والأساليب، والثاني: العاطفة، والثالث: الصورة الشعرية، والرابع: الموسيقى.

وكانت الخاتمة بعد ذلك التي ضمنتها أبرز ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصيات، وتبعتها بفهرس للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة.. والله أسأل أن يكون عملي على الصورة التي ترضيه، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، إنه تعالى قريب مجيب.

التمهيد

أولاً: التعريف بالشاعر (الطغرائي):

هو الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد أبو إسماعيل مؤيد الدين الأصبهاني المشهور بالطغرائي نسبة إلى كتابة الطغراء(١)، وهو شاعر من الوزراء الكتاب يتصل نسبه بأبي الأسود الدؤلي، كان يُنعت بالأستاذ، ولد عام ٤٥٣هـ – ١٠٦١م في أصبهان(٢).

عُرف الطغرائي بكرم أخلاقه ولطفه وطيب عشرته لأصحابه، وكفايته وتدبيره لشؤون الدولة وحسن سياستها، وتفوقه بصناعة الإنشاء ونظم الشعر، وإلمامه بمعارف عصره، فعُد من أعلام عصره وأعيانه، لذلك ظل حياته متصدرًا في الدولة، جليسًا للملوك، مقربًا إليهم، حتى نال مبتغاه(٣).

للطغرائي ديوان شعر مطبوع، غزير النتاج، حوى فنونًا مختلفة أبرزها مدح الملوك والوزراء، والحماسة، والفخر، والغزل، والإخوانيات، والرثاء، إلى

(١) الطغراء: الطرة تكتب في أعلى الكتب والرسائل تتضمن نعوت الحاكم وألقابه، وأصلها "طُرُغاي"، وهي كلمة تترية استعملها الروم والفرس ثم أخذها العرب عنهم. ينظر: الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، ط١٥ – أيار / مايو ٢٠٠٢م،٢ /٢٤٦.

(٢) ينظر: السابق نفسه ، معجم الأدباء إرشاد الأديب إلى معرفة الأريب، ياقوت الحموي الرومي، تحقيق: د. إحسان عباس،، دار الغرب الإسلامي بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٣م. ٥٦/١ .

(٣) مقدمة كتاب "الغيث المسجم في شرح لامية العجم"، الصفدي،، ضبط وشرح:صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا– بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

جانب الشكوى والحث على مداراة الناس، وقد بدا الطغرائي في شعره متنازع الإحساس بين الصبر والجزع، حيث أُبتُلي بالفراق والغربة والفقد، فجادت قريحته بقصائد تضج بالبكاء، وتتضح بالأسى والحزن.

يمتاز شعره بالأصالة واتباع طرائق القدماء في نظمه، مع السهولة والعذوبة وحسن الاستعارة، والغوص على المعاني وتخير الألفاظ، ومن أشهر قصائده لامية العجم، التي عارض بها لامية العرب للشنفرَى، فتداولها أهل الأدب وانشغلوا بها معارضة وتشطيرًا وتخميسًا وشرحًا(١).

وإلى جانب ديوان شعره له مؤلفات في الحكمة والكيمياء، منها: "جامع الأسرار وتراكيب الأنوار"، و"مصابيح الحكمة ومفاتيح الرحمة، و"الجوهر النضير في صناعة الإكسير"، و "حقائق الاستشهاد في الدفاع عن الكيمياء ضد ابن سينا" و "المقاطع في الحكمة الإلهية" و "الإرشاد إلى الأولاد"، وغيرها... واتُهم الطغرائي في آخر حياته بالإلحاد والزندقة فَقُتل ظلمًا في ربيع الأول من عام٥١٥هـ، وكانت وزارته سنة وستة أشهر، وقد جاوز الستين سنة(٢).

ثانيًا: معنى الصبر: الصبر ضد الجزع ، صَبَرَ يَصْبر صَبرا، فهو صابر وصبَّار وصَبيرُ وصُبُرُ، والأنثى صبور أيضا بغير هاء، وجمعه صُبر(١)، أما معنى الصَبْرُ فهو المَنْعُ والحبسُ، فالصبر هو منع النفس عن دواعي الشهوة والغضب، وحبسها عن الجزع والسخط، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما، والثبات على احتمال البلوى بغير ضجر ولا شكوى(٢)، قال تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ

(١) مقدمة كتاب "الغيث المسجم في شرح لامية العجم"، الصفدي نفسه.

(٢) ديوان الطغرائي، تحقيق: علي جواد الطاهر، ويحيى الجبوري،، مطابع الدوحة الحديثة– الدوحة، قطر_، ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، ص١٣.

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[٣]، فالمسلم يدرك أن الصبر صفة الأقوياء ودليل عزم ذوي الإرادة الفذة، وهو قيمة سامية يتحلى بها الرجال الأشداء، والنساء الماجدات رمزا للمقاومة في مواجهة الضعف والانهزام، وقوة تدفع لعيش الحياة بعزة وإباء.

ثالثًا: معنى الجزع: أما الجزع فهو نقيض الصَّبر، والجزوع ضد الصبور على الشر، وجَزِعَ بالكسر يَجزعُ جَزَعا فهو جازع وجزع وجَزُعَ وجَزَعُ. وقيل : إذا كثر منه الجزع فهو جَزع وجزاع، وتجزع الشيءَ: تقطع وتفرق[٤]، وقال بعضهم : هو الحزن، وقيل هو أشد الحُزْنِ[٥]، والإنسان بفطرته هو للجزع أقرب منه للصبر، قال تعالى :﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا﴾[٦]، ولقد أرتبط الصبر والجزع بحياة (لطغرائي)–كحال أي شاعر– فصوّر كل ما تعرضت له نفسه من فتن مظلمة، ومحن مهلكة، مما انعكس على تصويره لحالته جازعا ساخطا متبرما مما يلاقيه تارة، ومتصبرًا متأسيًا مسلِّما أمره لله، قانعا بما أصابه تارة أخرى، واستقراره على إحدى الحالتين ارتبط بأحداث عصره ونوازع شخصيته، وفي بحثنا هذا سنحاول استجلاء الحالتين، وبيان الأرجح منهما لديه، مع التركيز على الخصائص الفنية التي تميز بها شعره في هذا الجانب.

=

(١) لسان العرب، لابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة السابعة، ٢٠١١م . مادة(صبر).

(٢)عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، الإمام ابن قيم الجوزية، مراجعة وضبط وتعليق، محمد علي قطب ،دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م، ص، ١٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية(٢٠٠).

(٤) ينظر : لسان العرب مادة(جزع).

(٥)تاج العروس من جواهر القاموس ، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق ، مجموعة من المحققين ، مطبعة حكومة الكويت١٣٨٥– ١٩٦٥م، مادة(جزع).

(٦) سورة المعارج، الآية(١٩ – ٢١).

الفصل الأول: العوامل المؤثرة في شعر الصبر والجزع عند الطغرائي

للمواقف والأحداث التي يمر بها الإنسان تأثيرًا مباشرًا في حياته، وينتظم هذا التأثير في جوانب اجتماعية، وأخرى ذاتية، كالخوف والغضب، والسرور والحزن، والحب والكراهية، والصبر والجزع، وما إلى ذلك من جوانب شخصية الفرد التي تدخل ضمن الجانب العاطفي والانفعالي.

والطغرائي كان من أقدر شعراء عصره على بث آلامه ومعاناته– وتصوير أحاسيسه وخلجات نفسه– في أشعاره التي جاءت تجسيدا وتصويرا لما ألمَّ به من مصائب ونكبات قرَّحت فؤاده، وأراقت دموعه، فستقبلها بالتصبر تارة، وبالتفجع تارة أخرى.

وقد تجلت مثيرات الصبر والجزع في شعره – باعتبارها ظاهرة عامة اصطبغت بها معظم أشعاره – في نوعين من المثيرات، أولهما: المثيرات الذاتية، والآخر: المثيرات الاجتماعية، وسأعرض لهما خلال المبحثين التاليين:

المبحث الأول: العوامل الذاتية

الشعراء هم أرق الناس إحساسا وأكثرهم سرعة في الاستجابة للمثيرات الذاتية، والصبر أو الجزع كلاهما ينبع من الذات بمثيرات مختلفة تختلف معها قوة التحمل ومرتبة الصبر، وليس سبيل أشفى للنفس من التصبر، بالرضى والتسليم لمسبب الأسباب وخالقها، وهو الله سبحانه.

من هنا كانت مجاهدة النفس أعظم أجرًا من مجاهدة العدو لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[1]، فدل على أن جهاد النفس ثوابه أعظم.

(١) سورة النازعات: الآية(٤٠ – ٤١).

والذي يطالع ديوان الطغرائي يجد أثرا واضحا لثنائية الصبر والجزع، ومحاولة منه لضبط النفس قدر المستطاع، يتجلى ذلك فيما يلي من مثيرات ذاتية:

أولًا: الوازع الديني ويقين الشاعر: إن علاقة الأدب بالدين علاقة لا تنفصم عُراها، "ذلك لأن الأدب والدين كلاهما شعور وإيمان، فالشعور في الدين يكون عبادة، وفي الأدب مجسداً للمثل، وكلاهما شخصي يتخللهما الشعور والإحساس"(١).

وقد وطَّن الطغرائي نفسه على التحمل والتجُّمل، عند حلول المصائب ومس المكاره، فجاءت أشعاره ناطقة بجميل الصبر، ونافع الحكم لكل جيل، ومن ذلك قوله(٢): [من الكامل]

إن يحْـلُ دهـر أو يَمَـرَّر فـإنَّني ... فـي حالتيـه مُجْمـلٌ متجمِّـلُ

أوحـالَ مـا بينـي وبـينَ مطـالبي ... خطـبٌ فـذاك حائـلٌ متحـوِّلُ

لا تـأمُلُنَّ بنـي الزمـان فطالمـا ... أكـدَى وخـابَ الآمِـلُ المتأمِّـلُ

فلا شك أن دوام الحال من المحال؛ لذا فإن الشاعر يؤكد أن الدهر دائم التقلب بين الحلو والمر، وهو في حالتيه صابر متصبر، لا يثنيه خطب أو تنال من عزيمته نائبه، ولعله دأب أراد الشاعر أن يجعله منهج حياة، تتعاقبه الأجيال، وقد عمد الشاعر إلى مزج الثنائيات(يحلو يمر، مجمل متجمل، حائل متحول) وهو تداخل ضدي يشير إلى مجاهدة النفس بسلاح التصبر، ويكشف عن صراع داخلي يعانيه الشاعر ويحاول تناسيه، ولكن هيهات هيهات، فهل نحن إلا بشر؟!.

(١)القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه(حتى منتصف القرن العشرين (١٩٥٠م)، ثريا عبد الفتاح ملحس ،مكتبة المدرسة ،ودار الكتب اللبناني للطباعة والنشر بيروت(د.ت.)، ص٢٧.

(٢) الديوان، ص٣١٠.

كما أحسن التصوير حين شبه الدهر–في تقلبه – بشراب يتغير طعمه ولونه بين الطيب والخبيث، وهي صورة تبين حقيقة الدنيا، وتعكس لنا مدى يقين الشاعر بربه، وإيمانه بالقدر خيره وشره حلوه ومره.

والنفس دائمة التقلب – كحال الدنيا–تهدأ تارة وتثور أخرى ، لذا فقد كان الشاعر دائم الحذر منها، حتى لا تدفعه إلى شقاء أبدي لا تُحمد عواقبه، فراح يناديها بنداء دوت أصداؤه في صدره، وأسمعتنا كلماته اهتزازات شعوره، إذ يقول(١): [من البسيط]

يا نفس إياكِ إنْ نابتكِ نائبةٌ أنْ تخشعي أو تضجّي من أذى

كم جرَّ هُدَّابَها طَخياء مظلمةٌ فأقشعتْ ثم لم تسكُبْ ولم تُصب

ومن تطامنُ للدنيا غواربُهُ لم يخلُ من نَصَبٍ فيها ومن وَصَبِ

إنه نداء ناصح أمين، يحمل النفس على جميل التصبر والتحمل في مواجهة الأزمات، وشديد انذر لها من السقوط في جحيم التفجع والجزع، حيث جاءت الأبيات في مجملها تنم عن شاعر ألمَّ به– من الخطوب والنوازل– ما كادت له نفسه أن تُفتن أو تَذِل، ولكنه تماسك صابرا جلداً كالجبال الراسيات، ومع ذلك فهو متوجس خيفة منها، وفي صراع طال أمده معها، دل عليه كثرة استخدام أدوات الزجر، كالتحذير "إياكِ"، والنفي "لم" والنهي "لا"، كما أنبأ عنه احتدام الحوار الداخلي أو ما يسمى (المونولوج) الذي منح القدرة على إبراز، شخصية الشاعر والكشف عن حال نفسيته المكلومة، حيث إن انتقال الشاعر من التكلم "يا نفس إياكِ" إلى الخطاب " ومن تطامنُ للدنيا غواربُهُ" يمثل نوعا من الالتفات يثري ذهن المتلقي، ويقوي صلته بالدلالة، فضلا عن الحوارية التي تزيد المعنى ثراءً ونماء.

(١) الديوان، ص٨٥ – ٨٦.

ولا يزال الشاعر يرمِّم تصدعات نفسه التي انهزمت، وآماله التي اندثرت، فيواسي من داهمته الخطوب مواساة حكيم خبير بتجارب الحياة، ويحذر من غررته الدنيا بدوام نعيمها، فانجر ورائها غير مكترث فيقول(١):

تـأبَى صـروفُ الليـالي أن تُـديمَ لنـا حـالاً فصـبراً إذا جاءتْـكَ بالعَجَـبِ
إنْ كـان نفسُـكَ قـد منَّتْـك كاذبـةً دوامَ نُعمَـى فـلا تغتَـرَّ بالكَـذِبِ
أو خيَّبتْـكَ لـدى البأسـاءِ مـن فَـرَجٍ يُـديلُ منهـا فكـذِّبْها ولا تَخِـبِ

وهنا تفيض الأبيات بالحكمة، وتتضمن ثلاث نصائح غالية:

الأولى: الصبر وعدم الجزع عند حلول المصائب، لأن الجزع يجلب غضب الله، ولا يغير من الواقع شيئًا.

الثانية: عدم الاغترار بالدنيا بتصديق أمانيها الكاذبة، لأنها سرعان ما تتوالى على المرء بالمصائب، حيث قال الله تعالى: "فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا "(٢)، وقوله تعالى: "وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ"(٣).

الثالثة: عدم اليأس من لطف الله ورحمته عند نزول الكروبات، لأن اليأس سمت الكافرين، حيث قال الله تعالى:﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ (٤)، فرحمة الله واسعة يصيب بها من يشاء من عباده.

وهذه كلها أمور تكشف عن عمق التصديق الإيماني في قلب الشاعر، وتَغَلُّب الوازع الديني عليه، ولتأكيد هذه المعاني وتقريرها في ذهن المتلقي؛ كرر الشاعر كلمة "الكذب" بصيغها المختلفة (كاذبة – بالكذب – فكذبها)، وقد

(١) الديوان، ص٨٦.
(٢) سورة فاطر، جزء من الآية (٥).
(٣) سورة الحديد، جزء من الآية (٢٠).
(٤) سورة يوسف، الآية (٨٧)

جاءت (كاذبه، الكذب) صفتان لازمتان للدنيا؛ ليؤكد الشاعر على ثبوت صفة الكذب للدنيا، ثم جاء بالفعل الأمر "كذِّبها" وهو يدل على التجدد والاستمرارية في الحال والاستقبال؛ لينبه إلى ضرورة الصبر على تقلبات الدنيا، ودوام الحذر منها.

وكم كان شاعرنا رهيف الحس، تُسْتَشَفُّ إنسانيته من بين ثنايا كلماته الصادقة كل الصدق في التعبير عن اهتزازات شعوره وانثلامات وجدانه، وكانت أصداؤها قوية في نفوس من واساهم وسلّاهم عند نزول الكوارث بهم، ومن ذلك قوله[١] في نكبة "معين الملك"[٢]: [من الطويل]

فصبرًا "معين المُلكِ" إن عنَّ حادثٌ فعاقبــةُ الصــبرِ الجميــلِ جميــلُ

ولا تيــأسْ مــن صُــنعِ ربِّــكَ إنَّــه ضَــمِيْنٌ بــأنَّ اللهَ ســوف يُــديلُ

فــإنَّ الليــالي إذْ يــزولُ نعيمُهــا تُبشّــــرُ أنّ النائبــــاتِ تــــزولُ

فالأبيات تنطق بالتسلية الخالصة، وتُسْتَلْهم منها أسمى آيات الصبر واليقين، بل وتبشر بانبلاج صباح يتدفق منه الخير" فعاقبة الصبر الجميل جميل"، إذ هي المواساة الحقيقية التي تنفرج بها الكروب، وتزول معها الهموم، وتكون بردًا وسلاما على القلوب، فتزداد قوة بعد ضعف، ويقينًا بعد ارتياب، وثباتا بعد تزلزل، خاصة إذ كان الشاعر أعقبها بمثالج تطفئ لهيب الجزع كما في قوله[٣]:

فــلا تُــذعِنَنْ للخطــبِ آدكَ ثِقلُــهُ فمِثلُــكَ للأمــرِ العظــيم حَمُــولُ

ولا تجــزعَنْ للكَبْــلِ مسَّــكَ وقْعُــهُ فــإنَّ خلاخيــلَ الرِجــالِ كُبُــلُ

---

(١) الديوان، ص٢٩٧.

(٢) "معين الملك أبو المحاسن محمد بن كمال الدولة فضل الله بن محمد صاحب ديوان الإنشاء والطغراء في وزارة نظام الملك، كان ينوب عن أبيه في ديوان الإنشاء، وقد قربه السلطان ألب أرسلان، ولكنه انحاز بعد ذلك إلى أحد أعداء نظام الملك فأدى ذلك إلى نكبته وسجنه وسمله. ديوان الطغرائي"، ص٤٢٣.

(٣) الديوان، ص٣٠٠

وصـنعُ الليـالي مـا عـدتكَ سِـهامُهُ وإنْ أجحفـتْ بالعـالمين جزيـلُ
وإنَّ امـرأً تعـدو الحـوادثُ عِرضَـهُ ويأسـى لمـا يأخُذْنَـهُ لبخيـلُ

فالشاعر يشدّ من أذر الملك " فمثلك للأمر العظيم حمول"، ويعزيه تعزية تبعث في النفس من الطاقات الإيجابية – التي تحمل على التصبر– ما ترق له نفسه ولا تستنفر "وصنع الليالي ما عدتك سهامه"، ويستخدم من الصيغ ما يتناسب مع فداحة الموقف" فلا تُذعنْ"، " ولا تجزعنْ"، وهما مضارعان مجزومان بلا الناهية، قصد إليهما الشاعر قصدًا؛ لينبه الملك إلى سرعة تماسك نفسه وانضباطها، حتى لا يكون عُرضة لوساوس الشيطان، التي سرعان ما تستهوي المرء عند نزول الشدائد.

وتتجلى مراسم يقين الشاعر، وقدرته على استلهام المعاني الدينية، في أساليب تقريرية عمد إليها في قوله[١]:[من الطويل]

أَلَـمْ تَـرَ أنَّ الصـبرَ للشـكرِ تـوأَمٌ وأنهمـا ذُخْـرانِ للعُسْـرِ واليُسْـرِ
فشُـكراً إذا أُتيـت فاضـلَ نِعْمَـةٍ وصـبراً إذا نابَتْـكَ نائبـةُ الـدهرِ
فلـم أرَ مثـلَ الشُّـكرِ حـارسَ نعمـةٍ ولا ناصـراً عنـد الكريهـةِ كالصَّـبْرِ
ومـا طـابَ نشـرُ الـروض إلّا لأنَّـهُ شـكورٌ لِمـا أسـدَتْ إليـه يـدُ القَطْـرِ
ومـا فُضِّـلَ الإبريـزُ إلّا لأنّـهُ صـبورٌ إذ مـا مَسَّـهُ وهـجُ الجمـرِ

حيث يؤكد الشاعر أن الصبر والشكر صنوان لأصل واحد، ولا يمكن أن ينفصم عُراهما في مسألة الإيمان واليقين بالله تعالى، وهذا المعنى قد استمده الشاعر من قول النبيﷺ : "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له"[٢]، ولا شك

(١) الديوان ، ص١٦١ – ١٦٢.

(٢) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشباري النسيابوري، تحقيق . نظر بن محمد الفريابي أبو قتيبة، دار طيبة –الرياض– الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، باب: المؤمن أمره كله خير، حديث رقم: (٥٤٥٢).

أن اقتباس الشاعر هذا المعنى من الهدي النبوي فيه ثراء للنص، وتزكية للمعنى.

والملاحظ أن الشاعر أبدع حين شخص(الروض والندى والإبريز) في صورة إنسان صابر شاكر، وهي صورة تنبض بالحركة والحياة، أضفت على النص ثراء ونماء، فضلا عن أنها تبعث في النفس أملا جديدا في الحياة، وتصرف عن اليأس والقنوط من رحمة الله.

وإذا كان الصبر يعني مجاهدة النفس وحبسها عن كل ما يغضب خالقها تباركت أسماؤه، فإن ديوان شاعرنا حافل بالعديد من النماذج التي تدل على مجاهدة النفس عن رضى وقبول منه، ومن تلك النماذج قوله[1]: [من الطويل]

وإن حدثتكَ النفسُ أنّك مدركٌ لشأوي فطالِبْهَا بمثلِ خصائصي

نزاهةَ نفسي طالبًا وسماحتي مُنِيلًا وصبري لاحتمال القوارصِ

فهو يفتخر بنفسه في النزاهة والسماحة وقوة الصبر، طالبا ممن يرجوا بلوغ منزلته، أن يتَّصِفوا بمثل صفاته حتى يدركوا ما أدركه هو، وإن كانت نبرة الاستعلاء تطل من بين ثنايا كلماته هنا؛ إلاّ أنها جاءت في مقام محمود يستحق فيه المدح؛ لكونها صفات تنطق بمجاهدة النفس ومرضاة الرب.

وقد ذكر الشاعر في سياق أبياته الآثار التي خلفتها الحوادث والخطوب في نفسه، وإلى أي مدى وصل به الحال –من كثرة التحمل والتصبر–، حيث شخصها تشخيص طبيب ماهر، بعد فحص دقيق فقال[2]: [من الطويل]

وقد كنتُ مأهولَ الجوانحِ بالأسى فعدتُ ولي صدرٌ من الصبرِ بَلْقَعُ

فللوجدِ في أكنافِ صدريَ مرتَعٌ وللصبرِ في أكنافِ وجديَ مصرعُ

(١) الديوان، ص٢٠٧.

(٢) السابق، ص٢١٩.

تبدو عاطفة الحزن مسيطرة على الشاعر، فقد امتلأت ضلوعه بالمآسي، وصدره أصبح ممزقا من كثرة الأحزان، حتى صار خاليا مقفراً من الصبر، مرتعا لتتابع المصائب عليه، ولم يعد في وجده طاقة للتحمل، بل كلما حاول الصبرُ التسلل إلى نفسه لقي مصرعه، وكأن الشاعر ينعى نفسه ويندبها ويتمنى قبل الرحيل الرحيلا.

ولكن سرعان ما كان يعود إلى صوابه، ويتمالك نفسه؛ طمعا في إرضاء ربه جلّت حكمته، خوفا من أن يكتب عند الله من اليائسين، حيث يقول[١]: [من الطويل]

سأصبرُ حتَّى تنجلي كلُّ غمةٍ وتأتي بما تهواهُ نفسي المقادرُ
وإنّي لبئسَ العبدُ إنْ كنتُ آيِسَاً من اللهِ أن دارتْ عليَّ المقادرُ
فلا أنا للنعماءِ تشملُ شاكرٌ ولا أنا للبأساءِ تنزِلُ صابرُ

وبعد هذا العرض نجد أن الوازع الديني حينما يكون مثيرا في الشعر فإن الأبيات يتجه فيها الشاعر إلى تربية النفس وتزكية القلب ورقي الروح ، وقد حرص الشاعر الطغرائي على تمثله قيمة الصبر التزاما به تارة ، ودعوة إليه نصحا وإرشادا تارة أخرى جاعلا منه طريقا من طرق التقرب لله عز وجل، ومجالا يقوم من خلاله بتنمية وجدان المجتمع وتهذيبه وتوجيهه نحو إعلاء الصفات الإيجابية وتمجيدها والدعوة إليها.

ثانيًا: فقدان القريب والحبيب: تنتاب الشاعر– أي شاعر– حالة من الذل والانكسار، ويلفَّه الحزن بسرابيله الثقيلة وهو يرثي من ارتبط معهم بعلاقة جعلته يقول من نبع الإحساس الصادق بألم الفراق الأبدي، فقد" قيل للأعرابي: ما بال المراثي أجود أشعاركم ، قال : لأنا نقول وأكبادنا تحترق "[٢].

(١) الديوان ، ص١٩٧،

(٢)البيان والتبيين ،الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق ، عبد السلام هارون المدني مصر الطبعة الخامسة١٩٨٥م، ج٢/٣٢٢.

وعندما نطالع ديوان الطغرائي نجد أثرا لذاك الاحتراق حين فقده لزوجته – معشوقته وسليلة فؤاده– تلك التي غايظ فيها أهله جميعا، حتى فاز بها بعد يأس طال أمده، وقد عاش معها حياة سعيدة بكل أبعادها، لكنها لم تدم طويلا، فأخذ يندب حظه ويبكيها بقصائد تفيض بالحزن والألم، وكأنه فارق معها الحياة، في هذا المعنى يقول(١):[من الطويل]

بنفسيَ من غاليتُ فيها بمهجتي وجاهي وما حازتْ يدايَ من الوَفْرِ
وغايظتُ فيها أهلَ بيتي فكلُّهمْ بعيدُ الرِّضَا يطوي الضُّلوعَ على غَمْرِ
وفُزْتُ بها من بعدِ يأسٍ وخَيْبَةٍ كما استخرجَ الغَوَّاصُ لُؤلؤةَ البحرِ
فجاءتْ كما شاء المُنْى واشتَهى الهَوى كمالاً ونُبلاً في عَفافٍ وفي سِتْرِ
فصارتْ يدي ملأى وعيني قريرةً بها كيفما أصبحتُ في العُسْرِ واليسرِ واليسرِ

ثم تتصاعد آلامه وانفعالاته في ثورة من الغليان، يفقد معها إدراكه وصوابه، إلى أن يبلغ الجزع ذروته حين يشخص الموت ويناديه ليلحقه بها، والصبر ليتنحى عنه وفاء لها، فيقول في ولَهٍ وشرود جنوني(٢): [من الطويل]

ويا موتُ ألحقِني بها غيرَ غادر فإن بقائي بعدَها غايةُ الغَدْرِ
ويا صبرُ زُلْ عنِّي ذميماً وخَلِّني ولوعةَ وجدي والدموعَ التي تَمْرِي
ولا تَعِدَنِّي الأجرَ عنها فإنَّها ألذُّ وأحلى في فؤادي من الأجرِ
أَتُبذَلُ لي حُورُ الجِنانِ نَسِيئَةً وتُؤخذُ نَقْداً من ورائي وفي خِدْري

إن هذا المشهد السوداوي الصادم من الطغرائي قد نقل إلينا – في أبلغ تعبير وأصدق إحساس– مدى جزعه لفقد زوجته، وإن كان ذلك غير مقبول من شاعرنا؛ لأنه اعتراض صريح على قضاء الله وقدره، والمؤمن الصادق دائما يتحلى بالصبر؛ لقول النبيﷺ: عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء

(١) الديوان، ص١٥٢.
(٢) السابق، ص١٥٣.

صبر فكان خيرا له"[١]، إلا أن شاعرنا غالبًا ما نراه يستفيق من غفلته، ويعود إلى صوابه مسرعا، حيث يقول بعدها مباشرة[٢]:

وأقنــع بــالموعودِ وهــو كمــا تَــرى وأصبرُ للمقدورِ وهو كما تَدري

ومن ذا الذي يرضى إن اعتاضَ كفُهُ يواقيتَ حُمْراً من أناملِهَا العُشْرِ

بلَى إنْ يكنْ حظي من الخُلْدِ وحدَها صبرتُ فكانت نِعْمَ عاقبةُ الصَّبرِ

وهذا هو حال المؤمن، الذي يلوم نفسه ويؤنبها متى جانبها الصواب، ويبدو –من سياق الأبيات– أن زوجة الطغرائي رحلت عنه في ريعان شبابها، وقد كان صادقًا كل الصدق في حبه لهذه المرأة، نلاحظ ذلك في البيت الأخير" بلى إن يكن حظي من الخلد وحدها.."، ومن المعروف أن الجنة فيها من الحور العين ما يُغني عن طلب امرأة من نساء الدنيا مهما كانت حسناء، قال تعالى:" وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ "[٣]، إلاّ أن الطغرائي برع في إيصال شدة حبه لزوجته وحرقة وجده عليها– لكل قارئ أو مستمع ، تلك الزوجة التي كانت تتمتع بكثير من صفات الحسن والجمال، وهذا لا يتحقق –غالبًا– إلاّ في سن الشباب.

ولعلنا لا نجاف الصواب إذا قلنا: إن تعلق شاعرنا بزوجته وشدة إحساسه بها نقلنا من عالم الواقع إلى عالم آخر افتراضي، حيث خُيل للشاعر –عند زيارة قبرها– أنها تحس به وتراه وتسمعه، وليس ذلك ببعيد، فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه، ورد عليه السلام" [٤]، وفيه انعكاس لصدى إيماني صادق من شاعرنا، ودلالة أخرى على أن زوجته كانت تبادله نفس

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٥٤٥٢).

(٢) الديوان، ص١٥٣.

(٣) سورة الواقعة، (٢٢ – ٢٣).

(٤) الاستذكار، أبو يوسف بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ج١/١٨٥.

الشعور بالحب وصدق الإحساس أثناء حياتها؛ لما تعلم من شدة حبه لها وتعلقه بها، يظهر ذلك في قوله(١): [من الطويل]

ومـا زُرْتُهـا إلاّ توهَّمـتُ أنَّهـا بثـوبيَ مـن وجـدي بهـا تتعلَّـقُ
وأحسَـبُهَا والحُجْـبُ بينـي وبينَهـا تعـي مـن وراء التُرْبِ قـولي فتنطِـقُ
وأُشـعِرُ قلبـي اليـأسَ عنهـا تصبُّرًا فيرجِـعُ مرتابًـا بـه لا يُصَـدِّقُ

إن هذا الصدق الشعوري الذي نقلنا به الطغرائي إلى عالم البرزخ ؛ وجعلنا نبكيه ونتألم لألمه؛ ناتج عن جدلية الأنا التي تمحورت حول ذاته، وانصهرت داخل كيانه، فجعلته يكابد الصبر تارة، ويصارع الجزع تارة أخرى، كما هو واضح في الأبيات السابقة.

ولقد كان الطغرائي رهيف الحس بطبعه، رقيق المشاعر، تعمل فيه الأزمات عملها، وليس هذا مقصورا على نفسه أو أقاربه فحسب، بل تعدى ذلك الحس إلى أحبائه وأولياء نعمته، ومن ذلك قوله في مطلع قصيدة يندب فيها الملك ابا بكر "مؤيد الملك"(٢): [من الكامل]

مـا بعـدَ يومِـكَ للحـزينِ الموجَـعِ غيـرُ العويـل وأنَّـةُ المتفجِّـعِ

وصف الشاعر نفسه بـ"الحزين الموجع"، وهو تصريح ينطق بضعف الشاعر وانكساره، بعد فراق الملك، ملاذه الآمن، وركنه الشديد، الذي يأوي إليه عندما تحاك به المؤامرات؛ لذا فهو يبكي ويصرخ لموته، وفيه دلالة على أن الشاعر كان ذا مكانة مرموقة عند الملك، وربما تزول المكانة برحيله، ولولا ذلك لما أظهر ذلك التفجع وهذا العويل.. إلى أن يقول(٣): [من الكامل]

لهفِـي عليـكَ لمسـتجيرٍ يبتَغِـي وَزَرًا لـديكَ ومـا لـهُ مـن مفـزعِ
لهفـي عليـكَ لخـائفٍ ومؤَمِّـلٍ ومنـازَعٍ فـي حقِّـهِ ومـدفَّعِ
لهفـي عليـكَ لثلَّـةٍ غادرتَهـا هَمَـلاً لـذُؤبانِ الفَـلا والأضـبَعِ

(١) الديوان، ص٢٦٥.
(٢) السابق: ص٢٣٥.
(٣) السابق، ص٢٣٧.

مـا كنـتُ أحسـبُ أنَّ فوقَـك حادثًـا تُلْقِـي إلـى يـدِه مقـادةَ طَيِّـعِ
مـا كنـت أحسـبُ أن تُصَـمَّ عـن الـذي يـدعوكَ للجُلَّـى وأنـت بسـمعِ

إن تكرار جملة "لهفي عليك" في المقطع السابق ثلاث مرات؛ فيه دلالة واضحة على جزع الشاعر وحرقة قلبه، وبلوغه الحد الأقصى من الحزن والتحسر، وقد ظلت هذه الحرقة ملازمة له طوال حياته؛ لأن مصابه جلل، جاء فوق ما كان يتوقع.

ثالثًا: الحب والفراق: يعد الحب ينبوعا صافيا من ينابيع السعادة في الحياة، ولولاه ما تغلّب المرء على كثير من متاعب الدنيا، وأما الفراق فناره في القلب أشد ألمًا، وما من أحد أحب وفارق إلا وترك الفراق جرحا غائرا في صدره، يظل صاحبه متنازع الإحساس بين الصبر والجزع، مادام قلبه ينبض بالحياة.

وقد أبدع الطغرائي في التعبير عن عواطفه التي ابتعثها الحب، وما أدى إليه من وصل وهجر، وسعادة وشقاء، وقد افنى موهبته في الثبات على عهد الحب، والصبر على ألامه، وإظهار علامات الوفاء للمحبوبين، وعدم تصبره على فراقهم، ومن ذلك قوله(١): [من الطويل]

ضمِنتُ لصحبي الصبرَ عنها وقد أبتْ ضمانةُ قلبي أن أفي بضماني
فيـا صـاحبَي سـرِّي وجهـريَ أسْـعِدا فلم يبقَ منِّي غيرَ ما تَرياني
فـإن قُلتمـا – والحـقُ مـا تَريانـهِ- تـداوَ بصـبرٍ فاذهبـا ودَعـاني

فالملاحظ أن الشاعر أجرى حواراً ذاتياً خيالياً بينه وبين صاحبيه في قياس مدى قدرته على الصبر، حتى يتغلب على فراق محبوبته ويتناساها، فانتصر الحب وتملكته الصبابة، وعاد في شباك الغرام يتقلب، وهذا يدل على أن الشاعر كان في حالة يأس تدعو للشفقة؛ لذا جاء صوت الأصحاب يدعو للصبر على ما ألم به من هموم ومآس، ثم شفع هذ الصوت بأسلوب الأمر

(١) الديوان ، ص٣٩٣.

والنهي الدالين على التحذير" فإن قلتما... تداوَ بصبر فاذهبا ودعاني"، ليعبرا بدقة عن الحالة المأساوية التي يمر بها، حيث انسلخ الشاعر واندمج داخل ذاته، حتى بدا وكأنه يتحدث إلى ذوات متعددة، وهو ما "يمكن أن يعد تناصا للذوات، لا يقل أهمية هنا عن التناص بين النصوص، يكشف عن أن الوعي واللاوعي، يلعبان دوراً أساسيا في الخبرة الجمالية وفي التجربة الفنية، بما يؤدي إلى تعدد المعنى في القصيدة، فضلا عن كشفه غموض الذات"[١] ، وذلك حسب مقدرة الشاعر الفنية وملكته الإبداعية.

ويطالعنا الشاعر على تجربة أخرى من تجاربه الذاتية، وخبراته الفنية، في الكشف عن ذاته المكلومة، التي كادت تذوب ألماً لفراق أحبته، وهو لا يملك سوى انسكاب الدموع بين صخور التصبر ونيران الجزع، فيقول[٢]: [من الكامل]

وبنفسيَ الرشَأ الذي خاصرْتُه وجْدًا وقد كاتمْتُه التوديعا

فسألتُ صبري أن يُكلِّف مدمعي ألاّ يكونَ لما كتمتُ مذِيعَا

فأبَى المدامعُ أنْ تُشفِّعَ سلوةً وأبى التصبُّرُ أنْ يكونَ شفيعَا

فأسَحْتُ من ماء الجُفونِ وساعدتْ حتى لقد كِدنا نصيرُ دموعَا

فهو يُبدي بعض المعالم الداخلية لشخصيته، التي هيمن عليها القلق والحزن بسبب فراق أحبته له، كاشفًا عن إبداعه في توصيف حالته المأساوية، من خلال تشخيصه للصبر والدمع، حيث جعل كلاً منهما شخصا يحاوره ويناجيه، لعله يكون سلوة له على ذلك الفراق،" فأبى المدامع أن تُشفِّعَ سلوةً = وأبى التصبر أن يكون شفيعا"، فنلاحظ اجتماع التكرار والموازاة معًا في هذه

(١) في الإبداع الأدبي المعاصر، مفيدة إبراهيم علي ، دار السعودية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى، ٢٠٥م، ، ص٧٠.

(٢) الديوان، ص٢٥١.

المقطوعة، أدى إلى تأجج الصراع الداخلي وإبراز معالمه، بل ورفع كفاءة المستوى الانفعالي الدرامي في الحوار، وجمال ايقاعه، وتنوع دلالته.

ثم تنطلق آلية الحوار من التمحور حول مناجاة الذات إلى مخاطبة الذوات، فيقول في رسالة إلى أحد أحبابه(١): [من مجزو الكامل]

يـــا مَـــنْ زِمـــامُ القلـــبِ طَـــو ... عُ قيـــــادهِ أنَّـــــى يميـــــلْ
حاشـــا لعهـــدكِ أنْ يُقـــا ... لَ لـــــه ضـــــعيفٌ أو عليـــلْ
مـــــالي بـــــديل مـــــنكمُ ... أفعنـــــدكمْ منـــــي بـــــديلْ
إنْ كـــــان دأبُكـــــمُ الجَفـــا ... ءُ فـــدأبيَ الصـــبرُ الجميـــلْ

وهنا تكمن أهمية الحوار في إبراز بعض المعالم الخارجية للمخاطب، حيث ذكر الشاعر منها "الجفاء" الذي دل على المجانبة والتباعد، في وقت يتودد فيه الشاعر إليهم بالقرب والمحبة، وهو كشف آخر عن الصراع الداخلي للشاعر في مقاومته لجفائهم وتحلِّيه بالصبر "فدأبي الصبر الجميلْ"، وقد جاء النداء والاستفهام في سياق الأبيات للدلالة على بعد الأحبة، وقلق الشاعر، وهو تعبير يكشف عن مدى سوء الحالة النفسية التي يمر بها الشاعر.

ولعل كثرة تكرار الاستفهامات التي جاءت في سياق آخر، للتعبير عن جزع الشاعر وبكائه- لهجر أحبته- تحمل دلالات أخرى منها استجداء الصبر، كما في قوله(٢): [من الطويل]

وهـل عنـدكم صـبرٌ جميـلٌ فتعمُـروا ... فـؤاداً مـن الصـبرِ الجميـلِ خرابَـا
وهـــل فـــيكمُ راقٍ فيشـــفي برُقْيَـــةٍ ... لـــديغَ هـــوىً يرجُـــو لديـــهِ ثَوابَـــا
وهـل نظـرةٌ عجلَـى يُريـكَ اختلاسُـها ... غليـــلَ مُعنَّـــى لا يـــذوقُ شَـــرابَا
أخـــادعُ نفسِـــي بالســـؤالِ تعَلُّـــلاً ... وإن لـــم تـــردُّدوا للســـؤالِ جَوابَـــا
ومـا الـرأيُ إلا الـهجـرُ لـو أنَّ مُسْعِدًا ... مـن الصـبرِ إذ يُدعَى إليـهِ أجابَـا

(١) الديوان ، ص٣١٣.
(٢) السابق، ص٦٨، ٦٩.

فالأبيات تفيض بعاطفة الحزن، وتنم عن هجر يعانيه الشاعر، وكأنه أراد أن يستدرج المتلقي للإصغاء إليه دون أن يحس بنفور من ذلك الحوار الذي يشعرنا بالتودد إلى المخاطب، وهنا تتجلى إبداعية تماهي الحوار الداخلي والخارجي معا، لتكوين صورة من التفاعل بين النص ومتلقيه.

ومما يدل على أن الشاعر كان يعاني الغربة، التي ابتلي بها حين عزل من الديوان، فعزم الهجرة إلى أصفهان، وبقي هناك يبكي غربته وأمجاده، ومن ذلك قوله في قصيدة نظمها وهو في غربته[١]:

لعمريَ ما فارقتُ ربعيَ عن قِلىً ولا رَضِيَتْ نفسي سواهُ مَآبَا
ولكنْ تكاليفُ السيادة جَعْجَعَتْ برحلي ودهرٌ بالحوادثِ رَابَا
أهُمٌّ بأمرٍ والليالي تردُّنِي وأجمع شملي والحوادثُ تأبى

إن قسم الشاعر بحياته "لعمري" يدل على فداحة الأمر، وتفاقم حالته النفسية؛ بسبب هجرته بعيدا عن دياره التي أكثر من أنينه وحنينه إليها، وهو تعبير يعكس مدى حب الشاعر لأهله وديارة، وأن بعده ذلك كان عن إكراه وعدم رضى" لعمري ما فارقت ربعي عن قِلىً"، ولكنها الأحكام الجائرة التي أخذت نصيبها منه "... تكاليف السيادة جعجعتْ"، فتكاليف السيادة هي الأوامر التي صدرت بعزله من منصبه.

ثم يختتم الشاعر قصيدته بطمعه في تأييد الله تعالى له، بأن يرده إلى أهله ردا حسنا جميلا، وأن يفتح له بابا من القبول لينال طموحه فيقول[٢]:

عسى اللهُ يقضِي أوبةً بعد غيبةٍ ويختِمُ بالحُسنَى ويفتحُ بابَا

والذي يتتبع ديوان الشاعر يدرك–رغم كثرة مآسيه– أنه كان متفائلا، وأظن أن الدافع الحقيقي وراء تقلب الشاعر بين الصبر والجزع هو طموحه الزائد وتفاؤله المستديم، حيث كان يسعى جاهدا إلى التقلب في مناصب الوزارة،

(١) الديوان ، ص٧٢
(٢) السابق، ص٧٣.

وشاهد ذلك ما جاء في مقدمة الديوان: "حتى إذا توفى الطغرائي الأصيل عام (٥٠٥)، جلس مؤيد الدين مكانه في ديوان الطغراء "وصدر الإنشاء...، ولا شك أنه ابتهج كثيرا للمنصب الذي هو أهله، وحقق هدفا طالما كان يسعى إليه"[١]، ومن القصائد التي تدل على تفاؤله وابتهاجه قوله[٢]: [من الكامل]

هـذا الزمـانُ يَـزُفُّ أبكـارَ العُلَـى ويغُـضُّ طرفًـا بالرجـاء مـوكَّلا

يرنـو إليـكَ بطـرفِ جـانٍ آمـلٍ نسـيانَ ذنـبٍ مـن جرائمِـه خَـلا

ولـئِنْ أسـاءَ صـنيعَهُ فيمـا مضَـى فليحسِـنَنَّ صـنيعَهُ مسـتقبلا

والملاحظ أن عاطفة الفرح تسيطر على الشاعر، وتشير إلى أن أمراً ما قد أسعد قلبه وأثلج صدره.

وإن كان محققو الديوان لم يقفوا على مناسبة القصيدة إلا أنني وجدت فيها ما يدل على أن الشاعر نظمها لأحد أمرين: أولهما: عندما شعر برضا محبوبته عنه، وقُرب ارتباطه بها، وقد كانت الأمل الذي يرجوه ويتمنى تحقيقه، مما يعضد قول محققو الديوان عن هذه القصيدة: "وهي من عمل أيام صباه"[٣]، وقد ذكر في رثائه لها ما يدل على أنه فاز بها (بعد يأس وخيبة كما استخرج الغواص لؤلؤة البحر)؛ لهذا أصبح متفائلا وكادت شمس السعادة تشرق له من جديد فنظمها لهذا السبب.

والآخر: يحتمل أن يكون نظمها حين تولى بعض المناصب التي كان يطمح إليها في الوزارة، ودلائل ذلك مطلع القصيدة الذي يوحي بترقيته إلى منصب كان يرجوه، حيث يقول كما سبق:

هـذا الزمـانُ يَـزُفُّ أبكـارَ العُلَـى ويغُـضُّ طرفًـا بالرجـاء مـوكَّلا

إلى أن قال:

ولـئِنْ أسـاءَ صـنيعَهُ فيمـا مضَـى فليحسِـنَنَّ صـنيعَهُ مسـتقبلا

(١) الديوان ، ص١٠.

(٢) السابق، ص٢٨٨.

(٣) السابق ، هامش ص٢٨٨.

والبيتان يدلان على أنه نال مبتغاه، "وتحقق له بعض هذا العلى إذ استوزره الملك مسعود بن السلطان محمد، وأصبح بالمؤيد مؤيدا، وسداده مسدداً"(١)، ولعل هذا ما دفع الشاعر أن ينظم قصيدته التي بلغت احدى وثلاثين بيتا في هذ الشأن، إلى أن قال(٢): [من الكامل]

فالآنَ أقلعتِ النوائبُ وارعوتْ وتركتُ حدَّ حُسامِها متفلِّلا
ولبستُ سربالَ التماثُلِ بعدما ساء الظُّنونُ وصرتُ نِضوًا مُثْقَلا
وتداركتني بعد يأسٍ نعمةٌ اللهُ منَّ بلطفه متفضِّلا
فلعلَّ شملَ الوصلِ يُجمعُ بعدَما أصبحتُ في بُرْد النَّوى متفتِّلا
وتبوحُ نارٌ في الأضالع أوقدتْ ويجفُّ شجوٌ في الفؤاد توغَّلا

فقد رسم الشاعر صورة تنعكس على صفحتها كل معاني الشكر والعرفان بفضل الله تعالى " الله منَّ بلطفه متفضلا"، فالنوائب ولّت عنه مدبرة، والظنون السيئة استبدلها الله بالنعم التي تستوجب الشكر، وهي صورة تشخيصية أدت إلى جلاء المعنى ووضوحه في ذهن المتلقي، فضلا عن كثرت توالي الأفعال(أقلعت – تركت – تداركتني – أصبحت) التي تدل على حركية منتظمة في رحيل مآسي الشاعر عنه شيئاً فشيئاً، حتى أصبح هانئ العيش، ناعم الخد والطرف، فجاءت أبياته ناطقة بعاقبة الصبر الجميل، بعد أن عانى الشاعر من كبوات عرقلة مسير حياته، وعكّرت صفو أيامه، وظل يكبح جُماحها بالتصبر والتحمل، حتى أخلف الله تعالى عليه ما تمناه، بعد صراع طويل تجرع مرارته، بين الصبر تارة والجزع تارة أخرى.

(١) الديوان، ص١٢
(٢) السابق، ص٢٩١.

رابعًا: الشيب والشيخوخة: كان من أبرز مثيرات الجزع النفسية في مختلف الأزمان: فقدان الشباب، وتغير حال الإنسان مع مرور الأيام، فقد" قيل لأعرابي فصيح ذي فهم وبلاغة : ما بال النوح في المراثي والبكاء على الشباب والجزع من المشيب أجود أشعاركم وأحسنها ؟ فقال إنا نقولها بقلوب حزينة تخفق وأكباد موجعة تحترق "(١)، كما وصفت الشيخوخة بأنها " خاتمة الأدوار، ونهاية الأعمار، ونذير الاندثار، وفيها يرى الإنسان منهوك القوى ، ضئيل الجسم قد أعياه تعب السير في الحياة الدنيا وآذنته الحوادث، وقصمت ظهره الكوارث"(٢)، وحين نطالع ديوان الطغرائي لرصد هذا الشعور في شعره نجد أن رد فعله كان الجزع من الشيب والشيخوخة، فقد عبر عن جزعه " بصور فنية ذات أبعاد نفسية قوامها كلمات مشحونة بمكنون النفس الإنسانية وحسراتها على الماض، ومعاناتها من الحاضر، وهمومها للآتي"(٣)، وإذا كان الشباب يمثل مرحلة الفتوة والمتعة واللهو فإن الشيب يدخل الإنسان في مرحلة تلوح فيها بوادر الضعف والانحدار، والطغرائي يعبر عن ذلك باختلاس العمر لشبابه، ويقارن بينه وبين النعيم فيقول(٤): [نمن الكامل]

أمّـــا الشـــبيبةُ والنعـــيمُ فـــإنَّني لـــم أدْرِ أيُّهمـــا ألـــذُّ وأنضَـــرُ

حتَّى انقضَى عَصْرُ الشَّبابِ فبانَ لـي أنَّ الشباب هو النعيمُ الأكبرُ

لا تُخـــدَعَنْ عنـــه فبـــائعُ ســـاعةٍ منـــهُ بـــدنيا جميعًـــا يخســـرُ

(١) بكاء الناس على الشباب وجزعهم من المشيب ، تصنيف أبن الجوزي عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧ هـ)تحقيق هلال ناجي ، مجلة المورد المجلد الثاني، العدد الثالث ١٩٧٣م.، ص ٩٣.

(٢) ينظر: الشيب في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ،ثائر سمير حسن الشمري ، رسالة ماجستير جامعة بغداد كلية الآداب ١٩٩٨م، ص١٤.

(٣) ينظر : مقدمة القصيدة العربية في الشعر الأندلسي (دراسة موضوعية فنية)، هدى شوكت بهنام، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ٢٠٠٠م، ص ٢٣٨.

(٤) الديوان، ص١٦٦.

ومثلت الشيخوخة جرحا داخليا في نفس الشاعر لأنها خطام المنية، لذا سيطر عليه إحساس اليأس وغلبة النبرة التشاؤمية على تعبيره في حديثه عن هذه المرحلة، ولاسيما وهو يقارن بين الشباب والشيخوخة، ويرسم صورًا متناقضة بين المرحلتين يجسد فيها الشيب بالعدو الذي أستحكم على حين غفلة من شباب بكاه وتذكره بالحسرة، ومن ذلك قوله(١): [من الطويل]

لكَ الله هل عهدُ الشبيبة يرجِعُ وهل بعدَهُ في حُلَّةِ البيضِ مطمعُ؟؟

فقد راعني أنَّ المشيبَ مُسَلِّمٌ كما رابني أنَّ الشبابَ مُودِّعُ

فجلَّى شبابًا كنت أخبِطُ ليلَه سنا قمرٍ من جانب الغَوْرِ يطلُعُ

وأفنَى جميمَ الشَّعْرِ بعد التفافهِ قطيعانِ عاثا فيه جُونٌ ونُصَّعُ

وبهذا يظل الشيب مقرونا بالشيخوخة هاجسا لنهاية مؤلمة، يثير في نفس الشاعر الجزع الذي يعبر عنه بالحزن واليأس والدموع حتى يحيله إلى الاستسلام والخضوع لمصيره المحتوم.

تلك أبرز المعالم الذاتية للصبر والجزع في شعر الطغرائي، وقد امتزجت بخليط من عدة انفعالات، إذ باح بلسان حاله عما ضاقت به نفسه، ورزخ فؤاده بحمله، وظهر كأن متنازع الإحساس بين الصبر والجزع، كما لوحظ تردد نغمة الحزن والانكسار التي سيطرة عليه في شعر الفقد عنده، وظلت تلك النغمة تتعاظم في نفسه حتى وصلت به إلى هاوية اليأس، وهو يأس أوشك أن يتحول إلى سخط ونقمة يمازجان نفسه، ويخالطان نظره إلى الكون والحياة والمجتمع، إلا أن الشاعر مع ذلك كله كان متفائلاً حسن الظن بربه.

(١) الديوان، ص٢١٨.

المبحث الثاني: العوامل الاجتماعية

أدى الشعر دورًا فعالا في إرساء قيم المجتمع ومفاهيمه على مر العصور، وقد حمّل الطغرائي قصيدته أفكاره ونظراته في القضايا الإنسانية، والمشكلات الاجتماعية وجعلها رسالة لقيمه التي يؤمن بها، فالصبر من أسمى القيم الروحية والاجتماعية التي يؤثرها المجتمع العربي، ويحرص على غرسها في نفوس أبنائه جيلا بعد جيل، فهو عنوان يضم بين جنباته الفضائل بمختلف مسمياتها التي يربى الفرد على تقديسها، ويكون للتنشئة الاجتماعية دور مهم في إرسائها، وتعميق الشعور بها من خلال السلوك والعلاقات الاجتماعية(١).

وفيما يلي عرض لأهم المحاور التي دارت حول العوامل الاجتماعية المؤثرة في شعر الصبر والجزع عند الطغرائي:

أولًا: خفض المناصب: إن امتلاك الشاعر – أي شاعر – لناصية الكلمة يمنحه القدرة على تحقيق التوازن بين حاجاته الروحية والجسدية، لكن قد تعتريه بعض الصعوبات التي تحيل بينه وبين ما يرجوه، فيعلوه أو يسبقه من هو دونه، وعند إذن تتحرك نوازعه النفسية، وأنانيته الذاتية، ويعبر عن إحساسه هذا بصدق وانفعال بين صابر أو جازع.

والطغرائي كان أحد هؤلاء الشعراء الذين أثّرت فيهم تلك الوقائع والأحداث، فعبر عنها أيّما تعبير، ومن ذلك قوله في خفض المناصب وقد أبدى صبره(٢): [من البسيط]

وإن عَلانِي مَنْ دُونِي فلا عَجَبٌ لي أُسوةٌ بانحطاطِ الشمس عن زُحَلِ

فاصبرْ لها غَيرَ محتالٍ ولا ضَجِرٍ في حادثِ الدهرِ ما يُغني عن الحِيَلِ

(١)الوطن في الشعر الأندلسي(دراسة فنية) ،د.عبد الحميد شيحه، مكتبة الآداب القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ص ٥٧، بتصرف يسير.

(٢) الديوان، ص٣٠٧.

فقد انقلبت به الأيام واشتدت وقائعها، فأخذ يسلي نفسه ويصبرها؛ أملا في ضبط توازنه النفسي، واستعان على ذلك بمعطيات نفسية، قوت من عزيمته، كالتشبيه الضمني في البيت الأول" لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل"، فالذي يُفهم من سياق الأبيات أن الشاعر شبه نفسه بالشمس في قربها من الأرض وخفضها عن كوكب زحل مع أنها الأصل في تسيير الكواكب، وشبه الذي علاه بكوكب زحل الذي سبق الشمس "إذ هو الكوكب السادس من حيث بعده عن الشمس"[١]، لكن لا تستقيم حركته إلا بوجود الشمس، وغرض التشبيه هو استحالة أن يسبق الأدنى نظيره الأعلى مهما علا وارتفع، فليس هناك وجه مقارنة بين الشمس وزحل في القوة والعطاء، وهكذا يبقى الأصل أصلاً والفرع فرعا.

وكم حمل شاعرنا نفسه على الصبر والتجلد، وبيّن أن ذلك من عزائم الرجال الأقوياء، فإذا ما استعانوا بالصبر أخلف الله تعالى عليهم الخير، في هذا المعنى يقول[٢]:[من الطويل]

من الحزمِ أنْ لا يَضْجرَ المرءُ بالذي ... يُعانيهِ من مكروههِ وكأنْ قَدِ

إذا جلَدي في الأمرِ خانَ ولم يقمْ ... بنُصْرةِ عزمي نابَ عنه تجلُّدي

ومن يستعِنْ بالصبرِ نالَ مُرادَهُ ... ولو بعدَ حينٍ أنَّهُ خيرُ مُسْعِدِ

إنه يتجلد حين لا يجد سبيلًا للفكاك مما يعانيه، وهذا دأبه في كثير من الأحيان، وقد جاء بأدوات الشرط(إذا – مَنْ) التي تربط بين معاني القصيدة، وتشد من أذرها، حتى تبدو قالبا واحدا، وفي هذا إشارة إلى استجماع الشاعر لقواه عند نزول المكروه به في أي أمر من الأمور.

(١) موقع ويكيبيديا – الموسوعة الحرة –موقع إلكتروني على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت). https://ar.wikipedia.org/wiki/

(٢) الديوان، ص١٣٤.

ومن أجمل ما قاله الطغرائي في الصبر والتأني وعدم التسرع والاستعجال في طلب المناصب قوله[١]: [من الكامل]

لا تَطْمحنَّ إلى المراتب قبلَ أنْ تتكاملَ الأدواتُ والأسبابُ

إنَّ الثِمارَ تمِرُّ قبل بلوغِها طَعْمًا وهُنَّ إذا بلغنَ عِذابُ

فالبيتان في مجملهما حكمة بالغة، صدرت من شاعر يعد من أرباب الفصاحة والبلاغة في عصره، وقد أبدع حين بدأ البيت الأول بلا الناهية، للدلالة على سرعة رفضه التعجل في طلب المنصب، قبل أن تكتمل للإنسان أسبابه وأدواته؛ لأنه أمانة، والتفريط فيها بعدم إسنادها لمستحقيها يعد خيانة عظمى، ففي الحديث لما سأل أبو ذر– وهو من هو في الصلاح والزهد والعلم والخلق– الرسولﷺ لماذا لا يستعمله(أي يوليه وظيفة عامة)، قال له: "يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها"[٢].

والمتأمل في البيت الثاني –الذي جاء لإتمام المعنى وتأكيده في البيت الأول– يجد أن الشاعر أحسن الشبيه والمفارقة حين شبه عدم اكتمال الأدوات المؤهلة للمنصب بالثمرة التي لم يكتمل نضجها بعد، وتمام الأدوات باكتمال نضج الثمرة، فعاقبة الأولى: تجرع مرارة الخزي بالذل والانكسار، وفيها من الجزع ما فيها، وعاقبة الثانية تذوق حلاوة التوفيق بالتعمير والبناء، وفيها من عاقبة الصبر الجميل ما يغني عن الكلام، وهي صورة برهانية منتزعة من أحضان الطبيعة، جاءت في غاية الروعة والجمال، حيث أكدت المعنى وأوضحته في ذهن المتلقي بشكل رائع ومثير.

(١) الديوان، ص٨٤.

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٣٥١٢).

وتتجلى ثنائية الصبر والجزع –عند شاعرنا– في كثير من وصاياه التي جاءت في نظم بديع، تتجلى فيه الحكمة، وتدعو إلى التفكر والتأمل، ومن ذلك قوله(١): [من السريع]

لا تجــزعَنْ إنْ فــاتَ مــا رُمْتَــهُ واشْــدُدْ عُــرَى عزمِــكَ بالصَّــبرِ
فالجَــدُّ إنْ ســاعدَ نــالَ الفَتَــى بِغْيَتَــه مــن حيــثُ لا يَــدرِي
وإنْ نَبــا الجَــدُّ فَكــلُّ الــذي تأمُــلُ مــن رِبْــحَ إلــى خُسْــرِ
والمــرءُ فــي اقبالِــه ســابِحٌ يجــري مــع المــاءِ كمــا يجــري
وهــو إذ أقبــل مســتقبلٌ جَرِيْتَــهُ منقطــعَ الظَّهْــرِ

فالشاعر يدعو صراحة إلى الصبر وعدم الجزع عند فوات الفرص، وقد عمد إلى استثمار المقاربة في الصور ليبرز إبداعه في حُلة تليق بمقام الصبر" فالجد إن ساعد نال الفتى بغيته"، فهو الباعث على الصبر ونيل المبتغى، وعلى الرغم من وضوح الصورة التي يعرضها من خلال الدعوة إلى الإصرار والعزيمة، إلا أن الشاعر أظهر تفوقه في استثمار دلالات الألفاظ الموحية بلزوم التجلد والتحلي بالصبر في مواجهة الأزمات.

ثانيًا: كيد الأعداء: لا شك أن كظم الغيظ لا يطيقه إلا صاحب النفس السوية، التي تمسكت بتلابيب الإيمان والتصديق بالله تعالى قولا وعملا، حتى خلّصها الله من حبائل الشيطان.

ويعد الصبر على كيد الأعداء من أجل القيم الأخلاقية والصفات الإنسانية، بل هو آية من آيات أهل الجنة حيث قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (٢).

وكم واجه الطغرائي في قصر الملك تحديات وصعوبات كانت تتطلب منه أن يكون على حذر تام من الوشاة الذين كان يوغرون صدر الملك ضده،

(١) الديوان، ص١٦١.
(٢) سورة آل عمران، الآية(١٣٤).

ولكنه كان صاحب ذكاء وفطنة يعرف كيف يتعامل مع الأمور، حيث اكتسب الكثير من الخبرات الحياتية التي أهلته أن يكون صاحب تجربة صادقة انعكست أصداؤها في شعره، ومن ذلك قوله في الصبر على غيظ الحسود(١): [من الكامل]

فاصْبرْ على غَيظِ الحسودِ فنارُهُ ترمي حشاهُ بالعذابِ الخالدِ

أو ما رأيتَ النارَ تأكلُ نفسَها حتى تعودَ إلى الرَّمادِ الهامدِ

تضفو على المحسود نعمة ربِّهِ ويذوبُ من كَمَدٍ فؤادُ الحاسدِ

وهذا يعني أن الصبر سلاح معنوي قاتل ومدمر للأعداء، بل هو الأقوى في محاربة العدو من أدوات الحرب المادية كالسيف والرمح والرصاصات النارية وما شابه ذلك.. وفيه إشارة إلى أن الخراب النفسي المعنوي أشد خطرًا على حياة الإنسان من الجروح الجسدية؛ لأن الهم والغم والنكد، يفقد المرء معهم الإحساس والمتعة، حتى يُصبح كالميت المشؤوم، أو أسوأ حال!! وصدق الشاعر الجاهلي "عدي بن الرعلاء الغسّاني" إذ يقول(٢):

ليس من مات فاستراح بميتٍ إنما الميت ميّت الأحياء

فالذي لفظ أنفاسه ورحل عن العالم واستراح من الحياة الدنيا لا يعتبر ميتا، فالميت حقا هو الذي يعيش بين الناس كئيبًا خائبًا بائسًا، فلا أثر له ولا فعالية، أو كأنه غير كائن، فوجوده وعدمه سيّان.

(١) الديوان ص١٣٥.

(٢) لم أعثر على ديوان الشاعر، ووجدت البيت السابق –بلفظه– منسوبًا لقائله: (عدي بن العلاء الغساني) في كتاب: شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية " الأربعة آلاف شاهد شعري"، محمد بن محمد حسن شُرَّاب، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م، ٧٢/١.

وقد أبان الشاعر عن شخصيته، وحال نفسيته حين كشف عن مدى صبره وتحمله لكرِّ الأيام والليالي بما لا تشتهيه نفسه، حتى نال مبتغاه، ومن ذلك قوله(١): [من الطويل]

بلغتُ المَدى لما صبرتُ وأخطأتْ مساعي رجالٍ أخطَأوا سُبُلَ الهُدَى
ومن رامَ ما لا بُدَّ منهُ فما لَهُ من الصْبرِ بُدٌ طالَ أم قَصُرَ المدَى
وإنَّ الذي أعطَى وأجزلَ أوَّلاً ومَنَّ أخيراً ليس يترُكُنِي سُدَى

فمن كان مع الله كان في معيته، وكل نجاح مرهون بالسعي الدؤوب والعمل الصالح الجاد، الذي لا يستسلم صاحبه عند عثراته، بل يكمل بخطوات ثابته، مع الاستفادة من تلك العثرات التي حالت بينه وبين أهدافه، فهذه سنة الحياة!!

وفي البيت الثالث يتجلى يقين الشاعر بربه، وثمرة توكله عليه، باستخدام كلمات تدل على عاقبة الصبر وحلاوة نيل المراد" أعطى، أجزل، منَّ"، فلا شك أنها كلمات تعكس مدى الرضا والثقة في الله، وهناء العيش الذي عايشه شاعرنا المكلوم المثابر.

والطغرائي لم يكن ذلك الشخص الذي يكيد لأعدائه، وينتقم لنفسه إذا واتته الفرصة، بل كان يصبر ويحتسب، ويعفو ويصفح عند المقدرة، ومن ذلك قوله في سرد حواري شيق(٢): [من البسيط]

قالوا : صبرتَ على المكروهِ من نَفَرٍ لو شئتَ حكَّمْتَ فيهمْ كفَّ مُنتَصِرِ
تعدو عليكَ رجالٌ لو هممتَ بِهِمْ صاروا فرائسَ بين النابِ والظُّفرِ
تُغْضِي إلى أنْ يقالَ العجزُ ألزَمهُ ذُلّاً وتصبرُ حتى لاتَ مصطَبرِ

فهذه أخلاق المسلم الحق، الذي وقَرَ الإيمان في قلبه وصدقته جوارحه قولاً وعملاً.. ولا شك أن هذا السرد الحواري قد أضفى على المعنى رونقا خاصا، له قيمته الأدبية في جذب القارئ، وأخذه إلى عوالم من الخيال والمتعة

(١)الديوان، ص١٤٧
(٢) السابق، ص١٥٦.

والإثارة وعدم الملل، حيث تجسيد الموقف واستحضاره في الأذهان كأننا نشاهده.

ثالثًا: الفاقة وضيق العيش: الصبر على الفاقة وضيق العيش من كمال الإيمان بالله، إذ هو سلاح الأقوياء، ودليل القناعة والرضا بما قسمه الله عز وجل للعبد، يظهر ذلك في قول الطغرائي(١): [من الطويل]

سأحجُبُ عنِّي أُسرتي عند عُسرتي وأبــرُزُ فــيهم إن أصــبتُ ثــراءَ

ولــي أُســوةٌ بالبــدر يُنفــقُ نُــورَه فيخفَــى إلــى أن يســتجدَّ ضــياءَ

فهذه عزة نفس، وشرف إقامة، تعكس مدى رعاية الشاعر لأسرته، وعزمه على إدخال السرور عليهم من كل باب في حال ثرائه، وإلا تخفَّى وكتم عنهم ما يعانيه من قلة المال، حتى لا يؤذيهم بذل الفقر والحاجة، وله في ذلك أسوة بالبدر حال تمامه وانتشار أنواره في كل مكان، وهو تشبيه ألبسه الشاعر لنفسه حال الرخاء، فمثله في إنفاق الثراء على أهله كمثل البدر الذي عمَّتْ أنواره الأرض، فلم يُظلم منها شيء، وإن تعسر أخفى ذلك على أهله حتى يُستجدَّ له المال، فيغدق عليهم غير قتَّار. والملاحظ أن الشاعر اختار البدر– أسوة له– دون غيره من أطوار القمر لسببين:

أولهما: أن الشاعر لا يرضى بالدون؛ صونا لشرفه وحفظاً لكرامته، وفيه دلالة على أن الشاعرّ ذو نفس أبية، تتطلع دائما إلى بلوغ المعالي، ولديها قدرة بالغة على مواجهة الصعاب والآلام التي نطقت بها غالب أشعاره واصطبر عليها. **والسبب الآخر:** هو أن البدر يكتمل ظهوره، وتتجدد أنواره بين الحين والحين، وفيه ايحاء بحال الشاعر التي تتقلب بين الظهور والخفاء، والاكتفاء والحاجة، والسراء والضراء، وهو أمر يتطلب جهدا ومكابدة للنفس.

وقد كان الطغرائي شديد التوكل على الله في جميع شؤونه، ودليل ذلك ما وجدته من أبيات الحكمة في طيّات قصائده، حفل بها ديوانه، وهي في

(١) الديوان، ص٤١

مجملها دعوة صادقة إلى الصبر والرضا والقناعة والتوكل، ومن ذلك قوله[١]:
[من البسيط]

لا تسهَرنَّ إذا ما الرزقُ ضاقَ ونَمْ فـي ظِلِّ عيشٍ رقيقٍ ناعمِ البالِ

فبـينَ غفـوةِ عـينٍ وانتباهتِهـا يُقلِّبُ الدهرُ من حالٍ إلى حالِ

فالأمور كلها بيد الله، ويجب على الإنسان أن لا يُرهق نفسه في تدابير أموره، بل عليه أن يأخذ بالأسباب، ويفوض الأمور لله.

رابعًا: الوحدة والاغتراب : إذا كانت الغربة من المثيرات الذاتية للشعور بالجزع؛ نتيجة البعد عن الأهل والوطن، فإن الاغتراب من المثيرات الاجتماعية، فحين تنكس رايات الأخلاق، وتنهار القيم، وعندما تتبدل المفاهيم وتنقلب الأوضاع، وتنعكس القضايا- يشعر الإنسان بالاغتراب، وقد ميز بعض الباحثين بين الغربة والاغتراب بقوله: "فالغربة إذا كانت تمثل النزوح في سنوات تقترب من الثلاثين عاما، فالاغتراب يمثل نزوحا من نوع آخر، حتى لو كان الإنسان يعيش في الوطن، فهو يرفض أشياء ويتحداها، ويختلف مع أكثر من أسلوب ليسيطر على الحياة، وإذا كان في بعض الأحيان لا يملك إلا الصمت فإنه في أحيان أخرى لا يملك إلا أن يصرخ أو يبوح أو يئن ... مع إحساس ضاغط بأن العالم من حوله لا يحس به، ولا يصغي للصراخ، والبوح والأنين"[٢].

وليس شيئا غريبا أن يظهر الجزع في ثنايا شعر الطغرائي، حيث يسكن الاغتراب روحه، إذ قلما نجد إنسانا ينجو من هذا الإحساس، وان اختلف التعامل معه من شخص إلى آخر فمنهم من يتصبر، ومنهم من يكون الجزع رد فعله، وتلك حال أكثر الناس، ذلك أن قسوة الشعور بالغربة بين الأهل وفي المجتمع الذي ينتمي إليه المرء أشد ألما ومرارة من البعد والهجر، والشاعر

(١) الديوان، ص٣١٣.

(٢) الغربة والاغتراب والشعر، عبده بدوي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ١٩٨٨م، ص٨،٩.

"الطغرائي" يجسد معنى ذلك الاغتراب النفسي الذي عاشه بقوله [١]: [من البسيط]

طـالَ اغترابـيَ حتـى حـنَّ راحلتـي ورحُلهـا وقـرَى العسَّـالةِ الـذُّبلِ
وضَجَّ من لَغَبٍ نِضوي وعجَّ لما يلقَى رِكابي ولجَّ الركبُ في عَذَلي
أُريـدُ بسـطةَ كَـفٍّ أسـتعينُ بهـا علـى قضـاءِ حُقـوقٍ للعُلَـى قِبَلـي
والـدهرُ يعكِـسُ آمـالِي ويُقْنِعُنـي مـن الغنيمـةِ بعـد الكَـدِّ بالقَفَـلِ

هذه الأبيات تشعرنا باندلاع نار الاغتراب في فؤاد شاعرنا اندلاع النار في الهشيم، بعد أن صار وحيدًا في مجتمع فقد فيه الناصر والمعين، فلا أهل يتفهمون موقفه، ولا صديق ينفس عن آلامه معه، وقد أظلمت الدنيا في ناظريه، ولم يعد يرى منها إلا كل قبيح مشؤوم، ويبدو من سياق الأبيات أن اغتراب شاعرنا كان مكرها، أُجبر عليه لظروف سياسية خاصة، وأخرى اجتماعية محضة، لم يصرح بها الشاعر، لكنها تطل من طرف خفي من بين ثنايا كلماته.

وقد طال اغتراب الطغرائي، لدرجة أنه أحس بفناء شبابه؛ بسبب طول مدة اغترابه، حيث يقول[٢]: [من المجتث]

أفنَـــى الليـــالي شـــبابي وغـــادرتْنِي لمـــا بـــي
وخلَّفتنِـــــي وحيـــــداً وأســـرعتْ فـــي صِـــحابي
ومسَّـــني مـــن أذاهَـــا مـــا لـــم يكـــنْ فـــي حِســـابي
ولـــم تـــدعْ لـــيَ رأيـــاً فـــي صَـــبْوةٍ أو تَصـــابِي
لا لـــذّةٌ فـــي سَـــمَاعٍ ولا هـــوىً فـــي شـــرابِ

فأي اغتراب ذاك الذي انقضَّ على شبابه فأفناه، وتجرع مرارته حتى فقد معه كل لذيذ مستساغ؟! إنها صورة من أليم الواقع الذي عايشه الطغرائي، استطاع أن ينقلها لنا في أشطر قصيرة، كأنها أنغام من الأحزان، جعلتنا

(١) الديوان ص٣٠٢
(٢) السابق، ص٨٢، ٨٣.

نستحضر الموقف برُمته وكأننا نعيشه معه، ونشاركه محنته، وقد وُفِّق الشاعر حين اتكأ على استخدام الفعل الماض (أفنى، غادرتني، خلّفتني، أسرعت، مسني)، وهي أفعال تدل على الثبوت والاستمرارية، وتوحي بطول معاناة الشاعر منذ بداية حياته وحتى لحظاته الأخيرة التي كان ينظم فيها هذه الأبيات.

عرضت فيما سبق أبرز المعالم الاجتماعية للصبر والجزع عند الطغرائي، حيث تمثلت في خفض المناصب، وكيد الأعداء، والفاقة وضيق العيش، والشيب والشيخوخة، والوحدة والاغتراب، وكلها جاءت ممزوجة بحمم من المشاعر والأحاسيس، نفس بها عن حرقة وجده وانشقاق قلبه، وقد كانت انعكاسا طبيعيا لصدى الحياة في حقبة انتابها تخلف اجتماعي عايشه الطغرائي بكل أبعاده وتأثر به وأثر فيه إلى حد كبير، كما أن الانزياحات التي ترددت بين ثنايا قصائده، كان لها بالغ الأثر في ايصال مبتغاه إلى قارئه، وصرف معانيه عن السطحية إلى العمق، وذلك عن قصد تعمده الشاعر بكثرة الاستعارات والتشبيهات، والتقديم والتأخير، والالتفات من التكلم إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى التكلم، وهو أسلوب يقدح ذهن القارئ، ويجعله في تيقظ دائم لدلالات النص، إضافة إلى كونه جمالية يمارسها المبدع لنقل تجربته الشعورية إلى المتلقي... ونستنتج من ذلك كله، أنه في ضوء تحليل مثيرات الصبر والجزع في مجال بناء شخصية الإنسان العقلية والاجتماعية والروحية، يمكن تحويل هذا الشعر إلى أنماط سلوكية تغرس الايجابي منها في نفوس أبناء الوطن كبارًا وصغارًا؛ بهدف بناء مجتمع حضاري قوي، قادر على مواجهه الأزمات بقوة إرادة وعزم لا يلين، وأمل لا يخبو في نيل أجر الصابرين.

الفصل الثاني: الخصائص الفنية في شعر الصبر والجزع عند الطغرائي

تضافرت جملة من الخصائص الفنية التي تكشف عن عبقرية الطغرائي وإبداعه الفني، تفصيلها فيما يأتي من مباحث:

المبحث الأول: الألفاظ والأساليب

فطن النقاد القدامى إلى العلاقة بين اللفظ والمعنى، فقالوا: "اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم: يضعف بضعفه، ويقوى بقوته" (١)، وهم إنما عنوا باللفظ –الأداء اللفظي أو الأسلوب– الذي هو" دليل المعنى وآلة البيان، ولولا الأسلوب ما وقفنا على ما يجول في نفس الأديب من معان وأخيلة وعواطف وصور أدبية" (٢)، وهذا يفتح بابا للنظر إلى الألفاظ المفردة على أنّها إشارات ورموز حاملة لشحنات انفعالية، وإيحاءات ودلالات– في ذاتها– مما يعمق أثرها في تشكيل النص وفهمه.

أولاً: الألفاظ: تصاغ القصيدة الجيدة من ألفاظ كالجواهر المنظومة، والشاعر البصير بجواهر الكلام – صاحب الذوق السليم والحس المرهف– لديه القدرة على أن يستشف روح الألفاظ، ويختار منها الأفضل والمناسب للسياق؛ "لأن اللفظ هو الوسيلة إلى إدراك القيم الشعورية في العمل الأدبي، وهو الأداة الوحيدة المهيأة للأديب لكي ينقل لنا من خلالها تجاربه الشعورية، ويعبر عن إحساسه المرهف، وهو لا يؤدي هاتين المهمتين إلا حين يقع التطابق بينه وبين الحالة الشعورية التي يصورها، فالقصيدة الجيدة هي ما امتزج فيها الفكر بالوجدان، وعند إذن يستطيع توجيه الطاقة الشعورية إلى نفوس الآخرين"(٣).

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبن رشيق القيرواني، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد ،دار الجيل بيروت الطبعة الرابعة ١٩٧٢م،(١٢٤/١).

(٢) خصائص التعبير القرآنى وسماته البلاغية، عبدالعظيم المطعنى، مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م. (٨٦/١).

(٣) النقد الأدبي(أصوله ومناهجه)، سيد قطب، دار الفكر العربي – مصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٤م.، ص٧٠.

وقد تميزت ألفاظ الطغرائي في شعر الصبر والجزع- بالجزالة، والدقة والإيحاء، والتوافق مع الغرض، إضافة إلى تراثية الألفاظ، سواء أكانت مستمدة من القرآن الكريم، أو من البيئة العربية القديمة نستعرضها فيما يلي:

١- **جزالة الألفاظ وفصاحتها:** يقصد بجزالة الألفاظ وفصاحتها: "ألا يكون اللفظ غريبا موحشًا، ولا مبتذلًا عاميًا، ولا ساقطًا سوقيًا منفردًا"(١)؛ وذلك لأن اللفظ هو الأداة السحرية في يد الشاعر لنقل شعوره وفكره إلى المتلقي. وقد اتسمت الفاظ الطغرائي- في شعر الصبر والجزع - بالجزالة التي أدت إلى سرعة استجابة المتلقي، وإثارة شعوره والوصول إلى قلبه، ومن ذلك قوله(٢): [من الكامل]

ولقد تمضمضُ بي الخطوبُ فلم تجدْ لي في مَساغِ لهَاتِها مُسْتَسْهَلا

أقْصَرْنَ عن متمرِّنٍ متعوِّدٍ للخطب أن ألقَى عليه كلكلا

ففي كلمات(تمضمض، الخطوب، مساغ، كلكلا) جزالة محققة تشير إلى مدى معاناة الشاعر من توالي الخطوب، واعتصار قلبه كمدا، حتى كاد يذوب ألما من ثقل المواجع عليه.

ويقول بعدها مباشرة(٣):

ثَبْتُ الجِنان فإن تلسَّن بارِقٌ بذراكَ مادَ بشجوهِ متململا

وتحوز نارُ الشوقِ في أحشائهِ فيرى بياضَ اليومِ ليلاً أليَلا

فنلاحظ في ألفاظ: "(تلسّن، مادَ، بشجوه، متململا، نار، الشوق، أحشائه)، دليلا على شدة حزنه، وكثرة همومه التي أرقت مضجعه، وما آل إليه حاله من كرب اشتد به حتى استوى في ناظريه بياض النهار مع سواد الليل الذي لا يُرجى انبلاجه أبدا، وقد جاءت الألفاظ متمكنة في موضعها، لا يعتريها تنافر، وإنما تندمج وتتناغم سالمة من العيوب في ذاتها، ملتحمة مع

(١) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار الثقافة بيروت ودار العودة، ١٩٧٣، ص٤٦١.
(٢) الديوان، ص٢٩٠.
(٣)السابق، ص٢٩٠.

غيرها، تنساب في سهولة ويسر، تناسب المقام، وتعبير أيما تعبير عن أحاسيس الشاعر ومشاعره.

٢- **الألفاظ الموحية:** وتعني: أن تثير الكلمة في النفس معاني كثيرة، لا تؤخذ مباشرة من معناها اللغوي، ويتفق النقد القديم مع الحديث في أهمية الإيحاء؛ لأن مقدرة الشاعر على استخدم الكلمات الموحية المشعة دليل على موهبته، وما يمتاز به من دقة وإلهام.

ويكثر في شعر الصبر والجزع عند الطغرائي دوران الألفاظ الدقيقة الموحية، ومن ذلك قوله(١): [من الطويل]

لَعمْرُكَ ما يُرْجَى شِفائِيَ والهوى ... له بين جسمي والعظامِ دَبيبُ
أُجِلُّكَ أنْ أشكو إليك وأنطوي ... على كَمَدِي إن الهوى لعجيبُ
وآمُلُ بُرْءاً من جوىً خامرَ الحَشى ... وكيف بداءٍ لا يراهُ طبيبُ؟

فنجد ألفاظ (أنطوي، كمدي، جوى، الحشا، بداء" توحي بعذاب النفس وآلامها معنويّا، كما تتضافر وتتناغم مع ألفاظ أخرى حسية، مثل "جسمي، العظام، دبيب، طبيب) لتصنع إطار لوحة لهيكل إنسان متعب مريض ميؤوس من شفائه؛ لما ألم به من مصائب وأحزان، أنحلت جسمه وأضعفت قواه، ومن خلال تلك اللوحة استطاع الشاعر أن ينقل لنا مشاعره الحزينة، التي ناسبت تنازع إحساسه بين الصبر والجزع.

كما نلاحظ قيمة دلالية أخرى في كثرة توالي الأفعال في شعر الصبر والجزع عند الطغرائي من خلال رصد علاقاتها بالتركيب اللغوي الذي جاءت فيه، إذ إن "القيمة الدلالية للجملة الفعلية تنبع من الفعل فيكون البعد الزمني المستقى منه ركيزة جوهرية في الدلالة التي تهبها الجملة للسياق الواردة فيه"(٢)، ومن ذلك قوله(٣): [من الطويل]

---

(١) الديوان، ص٧٩.

(٢) الوحدة في شعر أبن قيس الرقيات(دراسة في تحولات الدلالة وسمات التشكيل اللغوي)،د.طارق سعد شلبي ،دار البراق القاهرة الطبعة الأولى٢٠٠٣ م، ص١١١.

(٣) الديوان، ص١٧١.

أرسلتُ صبري على وجدي ليُزعِجَهُ عن الحَشا فأقاما فيه واحترَبَا

فاقتران الصبر بالفعل الماضي(أرسلت) فيه دلالة على مجاهدة الشاعر لنفسه؛ ليحملها على الصبر، وكانت تُضرم لذلك حرب في أحشائه، وهذا ما أفادته دلالة الفعل الماضي في سياق قوله: (فأقاما فيه واحتربا) وقد منح السياق دلالة ثبوت الشاعر ورسوخه على مجاهدة النفس.

ثم يأتي الفعل المضارع (يغلب) –الدال التجدد والاستمرارية– في البيت الذي يليه ليبين النتيجة الحتمية لذلك الصراع فيقول(١): [من البسيط]

إنْ يغلُبِ الصبرُ فالعقبَى لمصطبرٍ أو يغلُبِ الوجدُ فالدنيا لمن غَلَبَا

فالصبر جزاؤه الجنة، وهذا ما أفادته كلمة (العقبى) بمعنى: الجنة، و(الوجد) بمعنى: الجزع، جزاؤه الدنيا، من الدنو، وهو الشقاء المضني الذي يتجدد مع الإنسان طوال حياته، وهذا ما أفادته دلالة تكرار الفعل المضارع (يغلب) في الشطرين.

كما حفل شعر الصبر والجزع بفعل الأمر عند الطغرائي، وقد كان له نصيب الأسد؛ لما يتطلبه الصبر والجزع من كثرة الحكم والنصائح والمواعظ، ومن ذلك قوله(٢): [من الكامل]

أهْوِنْ بصرفِ الدهرِ إنَّ لهُ حدًّا إذا قاومْتَهُ انْكَسرا

واشرحْ له صدرًا فلا جَزَعًا تُبْدِي لما يأتِي ولا بَطَرا

فقد جاء فعلا الأمر(أهْونْ، اشرح) للدلاة على الهدوء والتحلي بالصبر وعدم الجزع عند حدوث أي مكره للإنسان، وهذا من جميل الحكم والمواعظ التي اتسم بها شعر الطغرائي في الصبر والجزع.

(١) الديوان، ص٨١.

(٢) السابق، ص١٥٩.

وقد شاع استعمال الأسماء في شعر الصبر والجزع بصورة طغت على غيرها من أنواع الكلم؛ ليعبر من خلالها الشاعر عن معاني الصبر والجزع بصورة مكثفة، وطريقة لافتة، ومن ذلك قوله(١): [من الطويل]

خليلـيَّ مـا خَطْـبُ الفِـراقِ بهَـيِّنٍ علـيَّ ولا عَهْـدُ الأحِبَّـةِ ضـائِعُ

ولا الوجـدُ إنْ بـانَ الأحبَّـةُ مقلـعٌ ولا الصـبرُ إنْ دامَ التفـرُّقُ نـافعُ

فقد عبر الشاعر عن شدة جزعه باستخدام الأسماء ذات القدرة على جذب القارئ عبر حملها المعاني المختلفة، إذ تقع دائما في نطاق الفاعلية والمفعولية، والصفات والإضافات؛ ولذا فإن مجال حضورها الكمي في الصياغة أكبر وأكثر كثافة كما هو واضح في النموذج السابق.

٣- **توافق الدلالة مع الغرض:** وذلك ما سعى إليه الشاعر وأجاده باستعماله الألفاظ الموحية والدالة على إحساسه، فضلا عن التراكيب المحملة بدلالة المعاني، "فالشاعر يلجأ إلى أكثر الألفاظ افعاما بالإحساس وأشدها تأثيرا في المتلقي، وتصويرا لشدة المعاناة، وتجسيدا للألم الذي يعتريه، والضغط النفسي الذي يرزح تحت وطأته آملا في التخفيف عن ألمه من خلال التعبير اللفظي"(٢)؛ وهذا ما أثاره الطغرائي في مثيراته الذاتية التي رسمت كلماته فيها ظلال جزعه، ومن ذلك قوله في رثاء زوجته، وألمه لبكاء طفله الذي ما زال في المهد(٣): [من البسيط]

يـا بُـؤسَ متنـزَعٍ مـن ثَـدْي والـدةٍ حفيَّـةٍ مالَـهُ مـن دونِهـا والـي

يسـتخبرُ الـريحُ عنهـا ثـم يُنكِرُهـا لفقـدِ مـا اعتـادَ مـن بِـرٍّ وإشـكالِ

ويـؤسَ منفـردٍ عمَّـنْ يُضـاجِعُهُ مشَّـردِ النـومِ بـين الأهـلِ والمـالِ

يَزيـدُ حَـرَّ حشـاهُ بَـردُ مضـجَعِهِ ويمـلأ القلـبَ شـجواً ربعُـه الخـالي

---

(١) الديوان، ص٢٢٥.

(٢) ثنائية الصبر والجزع في الشعر الاندلسي دراسة أسلوبية، بشرى عبد عطية، دار الفراهيدي – بغداد، ط١، ٢٠١٣م. ص١٣٣.

(٣) الديوان، ص٣١٢.

يبكـي ويـنـدُبُ طـولَ الليـلَ أجمعِـهِ فمـا يَقَـرُّ ولا يهـدَا علـى حـالِ

فنجد ألفاظه قد تحولت إلى مفردات ألم وتشظٍّ مثل: (بؤس، مشرد، حرَّ، شجوًا، يبكي، يندب)، حيث تتصاع الألفاظ كليًا؛ لتعبر عن حالة الشاعر النفسية المضطربة، وأزمته العنيفة لموت زوجته، فقد ضاقت به الدنيا حين فقدها، وصار في جحيم الفراق يتقلب، تتصاعد منه زفرات الأنين كالحمم.

كما نجد تلك الألفاظ المحملة بالعبق الديني والروحي، بجميل الحكم والمواعظ التي تعين على التجلد والتصبر عند مسّ المكاره، ومن ذلك قوله مخاطبًا النفس[1]: [من الطويل]

خُـذي صـفوَ مـا أوتيـتِ واغتنميـهِ وإن سـوَّف المقـدارُ فانتظريـهِ
وإن بـدَّل الأيـامُ بؤسـى بنعمـةٍ فـلا تُنكـري مـا اسـتبدلتْ وخُذيـهِ
ولا تيأسـي مـن رَوحِ ربِّـك إنَّـه متـى تسـتحقي رَوْحَـه تجديـه
ولا تجزعـي مـن ذمِّ غـاوٍ وحاسـدٍ فـأهونُ مـأثورٍ كـلامُ سـفيهِ

ففي ألفاظ (صفو، اغتنميه، انتظريه، بنعمة، خذيه، رَوح، ربك، روحه، لا تجزعي)، إشارة إلى ضرورة الرضا والتسليم وعدم الجزع أو اليأس من رحمة الله، وقد ألقت العاطفة الدينية الشفافة بظلالها، فجاءت تلك الألفاظ محملة بدلالات تؤثر في الوجدان، وتستميل القلب، وانعكس فيها الجو الروحي، وصفاء الخلوة بالنفس، التي تحقق ما يطيب به القلب، وتأنس به الروح.

وفي مقام المثيرات الاجتماعية نجد أثرا لألفاظ الجزع والتجلد، التي تنبئ عما يعانيه الشاعر من غربة أذابت قلبه، وألهبت فؤاده، ومن ذلك قوله[2]: [من الوافر].

كفَـى حَزَنًـا بـأن تمضـي الليـالي ولـيس إلـى لقـائكُمُ سـبيلُ
أعـيشُ تجلُّـدًا وأمـوتُ شـوقًا وحظِّـي مـنكمُ أبـدًا قليـلُ

(١) الديوان، ص٤١٢.
(٢) السابق، ص٣١٨، ٣١٩.

إذ العــذبُ الــزلالُ كَرعــتُ فيــهِ شَــرِقْتُ بــه ولــم يُــروَ الغليــلُ
ألا مــن للغريــب يَنــالُ منــه جــوىً مــا بــين أضــلعِه دخيــلُ
يحِــنُّ إذ الحَمــامُ الــوُرقُ حنَّــتْ ويطــرَبُ كلمــا نســمَ القَبُــولُ
ويطــوي صــبرَهُ ريــحٌ شــمالٌ وينشُــرُ وجَــدهْ راحٌ شَــمولُ

فقد جاءت الألفاظ (حزنًا، تجلدًا، أموت، شوقًا، الغليل، للغريب، جوى، يطوي، صبره، وجده) كلها تدل على حرقة القلب، وآلام الغربة، وهكذا ظل الشاعر يطالعنا بلوحات فريدة من التشكيل اللفظي بين صفات وأسماء تدل على الثبوت، وأخرى مضارعة تدل على التجدد والاستمرارية لتفي بالغرض.

٤- **تراثية الألفاظ:** إن التراث العربي بمصادره، ونماذجه، سيظل مادة خصبة للشعراء، يفيدون منه، وينقلون عنه، لا نقل تقليد أو محاكاة، وإنما عن تأثر، ورغبة في تحميل نصوصهم بعبق مفرداته التي لها أثرها في وجدان القارئ العربي، وقد رصدت في لغة (الطغرائي) الشعرية ذلك الملمح التراثي الذي يستقى روافده من مصدرين :

أ- **مفردات البيئة العربية القديمة:** وهي نتيجة ما اطلع عليه الشاعر من نماذج، وقراءات، تشبع بها وجدانه، وتسربت مفرداتها إلى كتاباته، حيث لوحظت سمة الأصالة والتأثر بالقديم، فقد اقتدى في بعض قصائده بالمطالع الطللية، من ذلك قوله(١): [من الطويل]

خليلــيَّ هل مـن مُسْعِدٍ أو معالجٍ فؤادًا به داءٌ من الحُبِّ ناكسُ
وهــل ترجُــوانِ البُــرْءَ ممــا يجنُّــهُ فــإني وبيــتِ اللهِ منــه لآيــسُ
هوى لا يُديلُ القربُ منه ولا النَّوى ولا هوَ عن طولِ التقادُمِ دارسُ

حيث جاء لفظ (خليليَّ) مكررًا في مطالع قصائده عامة ثلاث مرّات، وهو نداء معروف استخدمه الشاعر القديم في مفتتح قصائده، لتذكُّر القديم وإثارة عواطفه حتى يتفاعل مع موضوع قصيدته، ويجذب إليه المتلقي،

(١) الديوان ، ص٢٠١.

بالإضافة إلى ألفاظ أخرى مستمدة من البيئة العربية القديمة مثل: (ناكس، بيت الله، النوى)، ولاشك أنّ الشاعر قد استدعى هذه الألفاظ، أو بالأحرى فرضت نفسها على معجمه الشعرى مناسبة لموقف الصبر والجزع، فالذاكرة بطبيعتها استرجاعية، وانتقائية الشاعر للفظ محكومة بدوافع كثيرة مرتبطة بالمعاني المستقرة في ذهنيته وفي وجدانه أيضا، فهو إنما مال إلى تلك الشاكلة من الألفاظ لعمق تأثره بصفاء الحس العربي، وروح الشجن والتأثر لديهم.

ب- ألفاظ مستمدة من المعجم القرآني بالتناص[1]: القرآن الكريم -كتاب المسلمين الأول – هو في المنزلة العليا من البيان والفصاحة، ارتبط به وجدانهم، وأصاخت إليه أسماعهم، وقد دأب الأدباء على استعمال ألفاظه في أشعارهم، ابتغاء تحسين كلامهم، وشد أسره، مع ما تحمله اللفظة القرآنية من تأثير في وجدان القارئ لا يعدله تأثير، وفي لغة (الطغرائي) الشعرية كثير من هذه الألفاظ التي يتفاعل فيها مع النص القرآني، ومن ذلك قوله[2] في معرض التعزي والتسلية: [من الطويل]

فصبرا "معين المُلك" إن عنَّ حادث فعاقبة الصبر الجميل جميل

حيث إن كلمات(الصبر، الجميل، جميل) مستمدة من قوله تعالى على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًا فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾[3].

وفي معرض الحديث عن الأقدار، يقول: [من البسيط]

تفرد الله بالتقدير ما اشتركتْ فيه نجوم ولا شمس ولا قمر

(١)"إدراك القارئ لعلاقة بين نص ونصوص أخرى قد تسبقه أو تعاصره" التناص فى الخطاب النقدى والبلاغى (دراسة تطبيقية) ، د. عبدالقادر بقشى،، دار أفريقيا الشرق-المغرب، د.ط، ٢٠٠٧م، ص٢٠.

(٢) الديوان، ص٢٩٧ .

(٣) سورة يوسف، جزء من الآية(٨٣).

فألفاظ: (تفرد، الله، بالتقدير)، مستمدة من كثير من آيات القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[٢]،

ولا شك أن جريان تلك الألفاظ في شعره، أعطته قوةً توشِّح معانيه بالجلال، وجمالية قدسية تتجاوز المفردة في ذاتها إلى التأثير الحادث من إحالتها على مصدرها الشريف.

خلال ما سبق نجد الألفاظ قد نطقت بلسان شاعر مكلوم، يندمج كليًا مع تجربته الشعرية، فلا يكون بينه وبين لفظه مسافة، بل هو طوع أفكاره وعاطفته، يتلون بلونها، ويجري في تيارهما، ورأينا ذلك في تفننه في رسم لوحات تشكيلية بديعة بتلك الألفاظ، إضافة إلى تفاعله مع النص القرآني المقدس، مما يعكس نظرة الشاعر إلى اللفظة على أنها مكون تشكيلي، لا مجرد وعاء لحمل المعنى، ورأينا كيف تلونت هذه الألفاظ فأصبحت ذليلة كسيرة نادبة معولة تناسب مقام الصبر والجزع وتفي بالغرض.

ثانيًا الأساليب: تتغير المعاني بتغير الأساليب المؤدية لها بالضرورة " بحيث يكون لكل مقام مقال، فتعدد الأساليب راجع إلى اختلاف الموقف أولا، ثم طبقة الموضوع ثانيا" [٣]، وفي إطار هذا التنوع الأسلوبي، يمكننا أن نرصد ظواهر بديعية: كالطباق والجناس،... كصور أسلوبية ذات "تكوين لفظي ومعنوي، قائم على أنساق إيقاعية، تنضوي تحت مبدئين أساسيين هما: التشابه والاختلاف" [٤]، وإذا تأملنا شعر الصبر والجزع عند الطغرائي فإنه يمكننا أن نحدد بسهولة

(١) سورة الفرقان، الآية(٢).

(٢) سورة الحجر، جزء من لآية(٢١) .

(٣) ينظر: "البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبدالمطلب، مكتبة لبنان–القاهرة، ط ١٩٩٤،١ م، ص ١٢.

(٤) قضايا النقد الأدبي المعاصر، د.محمد القاسمي، ط١، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع– عمّان،٢٠١٠م، ، ص ١٢٤(بتصرف).

ذلك التنوع الأسلوبي لديه، بين الأسلوب الخبري والإنشائي، وكذلك ما تضمنه شعره من فنون البديع، وسوف أعرض لصور التنوع الأسلوبي لديه من خلال المطالب التالية:

١-**الأساليب الخبرية:** فالشاعر يقدر شك المتلقي في حكم الخبر، فيعمد إلى توكيده، أو قد يستخدم أسلوبا تقريريا بغية الإقناع والترويج لقيمة معينة، وقد يعرض صورا اجتماعية في قالب الحوار أو القصة ليصحح مفاهيم اجتماعية معينة، وهو ما سأعرض له فيما يلي:

أ-**أسلوب القصر**(١): يعطى القصر صبغة تقريرية للكلام، يتمكن بها في الذهن، وينفي شبهة الإنكار أو النفي عن المعنى، إلى جانب ما يحمله من مبالغات مقصودة تفي بغرض الشاعر، ومن أمثلة أساليب القصر عند الطغرائي قوله (٢): [من الطويل]

وما الرأيُ إلا الهجرُ لو أنَّ مُسْعِدًا من الصبر إذ يُدعى إليه أجابَا

حيث طريق القصر هو النفي بـ "ما" والاستثناء ب"إلا" والمقصور هو الصفة : الرأي، والمقصور عليه: الموصوف (الهجر)، وهو من قصر الموصوف على الصفة، فقد رأى أن كثرة جفاء المحبوب له تستدعي هجر الشاعر إياه، وهذا يتطلب منه الصبر؛ لعله يكون سبيلا للوصول إليه.

ويطالعنا الشاعر بقصر إضافي آخر قُصد به التعيين، فهو ينفي عن نفسه صفة الرضا بفراق الأحباب أولا، ثمّ يعين الصفة عن طريق القصر بـ(إنما)، فيقصر حاله على الغرام، وقد أضفي هذا القصر جمالية على المعنى، وهو ما نلمسه في قوله(٣): [من الطويل]

---

(١) القصر هو: "تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، والشيء الأول: هو المقصور، والشيء الثاني: هو المقصور عليه"، جواهر البلاغة في المعانى والبيان والبديع ،السيد أحمد الهاشمى، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلى،ط:١، المكتبة العصرية –بيروت،١٩٩٩م، ص١٦٥.

(٢) الديوان، ص٦٩.

(٣) السابق، ص٣٣٧.

ولا قـرَّ لـي بعـد التفـرُّقِ مضـجعٌ ولا طـابَ لـي بعـد الرحيـلِ مقـامُ
ولا طِبْـتُ نفسًـا بـالفراق وإنَّمـا أضـيفَ إلـى ذاك الغَـرامِ غَـرامُ

فالبيت الأول فيه قصر بتقديم الجار والمجرور (لي) على معموله في الجملتين، بغرض التخصيص، والمعنى ليس لي إلا حرقة القلب في الماضي والحاضر، وفي البيت الثاني كرر كلمة (غرام) الثانية التي جاءت توكيدًا للأولى، وموحية بشدة الهوى والتعلق؛ والغرض من توكيد هذا المعنى بالقصر، هو شعور المتلقي بمعاناة الشاعر، وما انتابه من حيرة وقلق جزعًا لفراق أحبته.

ب- أسلوب التكرار: تعد ظاهرة التكرار إحدى الظواهر الأسلوبية التي يستخدمها الشعراء قديما وحديثا، فهو "نمط أسلوبي صوتي يتصل بالذات المبدعة من حيث موقفها واختيارها أسلوبا ما، كما إنه يتصل بالمتلقي من حيث تجاوبه مع ظاهرة التكرار التي يلح عليها الشاعر، وإلى جانب كون التكرار أداة أسلوبية وثيقة الصلة بالجانب الأسلوبي القائم على الاختيار فإنه يسهم في تلاحم البناء، ويشكل نغمة موسيقية" (١)، وأعرض هنا لقيمة التكرار الدلالية، وسأرجئ الحديث عن قيمة التكرار الإيقاعية إلى مبحث (الموسيقى) إن شاء الله .

أما عن قيمة التكرار الدلالية: فتكمن في استكشاف المشاعر الدفينة، وتبيين الدلالات النفسية والوجدانية لدى الشاعر، ويظهر ذلك من خلال تكرار الكلمة في صور مختلفة، تتمثل في تكرار نفس اللفظ في بداية كل مجموعة من أبيات القصيدة أو في وسطها أو نهايتها، ويكون التكرار بشكل متتابع حيث يؤدي إلى دلالات معينة؛ ليعبر عن همومه، ولإثارة إحساس المتلقي.

(١)التكرار في الشعر الجاهلي(دراسة أسلوبية)، د.موسى ربابعة ،مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد الخامس ،العدد الأول ١٩٩٠م.، ص١٥٩.

وقد وجد الطغرائي في التكرار خير سبيل يعينه في التعبير عن الصبر والجزع ، إذ من خلاله يفرغ خلجات نفسه، ويعبر عن مشاعره، ويبث أفكاره في إطار تنغيمي، حيث يقول(١): [من الكامل التام]

أعـزِزْ علـيّ بـأن أُسَـرِّح نـاظري فـي مجمـعٍ وسِـواكَ صـدرُ المجمـعِ

أعـزِزْ علـيّ بـأن يحـدِّثَ نفْسَـهُ بـالأمن بعـدَك كـل نَـابي المضـجعِ

أعـزِزْ علـيّ بـأن يُبـزَّكَ حاسِـرًا مـن كـان يُحْجِـمُ عنـكَ بـين الـدُرَّعِ

حيث تكرار جملة "أعزِزْ عليّ بأن" في الأبيات يوحى بسيطرة عاطفة الحزن على نفس الشاعر، وتشير إلى رغبته في لفت المتلقي إلى مدى جزعه لفقد الملك، وهذا النوع من التكرار يحقق للمعنى المراد كثافة لا تتأتى بغيره، كما أنه يحمل انفعالاً نفسياً حاداً تجاه إنسان كان يحبه ويجله، ومن هنا جاء ترددها أكثر من مرة، لتعكس هذا الإلحاح، ولتوحي بأهمية اللفظة المكررة.

ج- أسلوب الحوار: يعمد الشاعر أحيانًا إلى "الاتكاء على عنصر التشويق من خلال الأسلوب القصصي المتمثل في الحوار"(٢)، فالحوار أداة فاعلة ذات قيمة بنائية مهمة في البنى السردية، فالشخصيات التي يضمها البناء السردي ناطقة بالطبيعة، ومن خلال هذا الحوار تتكشف جوانب كثيرة في الشخصية، وتتحدد أبعادها وخلفياتها وأدوارها، ومن ذلك قول الطغرائي(٣): [من البسيط]

قالوا : صبرتَ على المكروهِ من نَفَرٍ لو شئتَ حكَّمْتَ فيهمْ كفَّ مُنتَصرِ

تعدو عليكَ رجالٌ لـو هممتَ بهمْ صاروا فرائسَ بين النابِ والظُفُرِ

تُغْضِي إلى أنْ يقالَ العجزُ ألزَمهُ ذُلّاً وتصبرُ حتى لآتَ مصطبَرِ

---

(١) الديوان، ص٢٣٦.

(٢) معالم الحياة وأثرها في الشاعرية والإبداع الفني لابن حد يميس الصقلي، الحسيني محمد إبراهيم الفقي ، مجلة اللغة لعربية بالزقازيق، العدد التاسع والعشرون، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م، ص١٣١٨.

(٣) الديوان، ص١٥٦.

حتـامَ تحلِـم مـنهم غيـرَ منـتقِمٍ والحِلْـمُ ينـزعُ أحيانًـا إلـى الخَـوَرِ

وهَـبْهُمُ المـاءَ مـوّارًا علـى حَجَـرٍ والمـاءُ ينقرُ فـي صَلْدٍ من الحجرِ

فقلـتُ: أنَّهُـمُ عنـدي وكيـدُهُمُ كالكلبِ إذْ بات يعوي صفحةَ القمرِ

حيث نرى في الأبيات ملامح شخصية الشاعر التي تتسم بالقوة والصبر والحلم والعفو عند المقدرة، كما برزت ملامح أخرى لشخصيات عبر عنها الشاعر بقوله "نفر – رجال"، وقد أظهر السياق ضعفهم، لكنه حلم عنهم، رغم مقدرته على جَثِّ حقه منهم، وقد استطاع الشاعر تصوير الخلاف بشكل أقرب إلى الدرامية من خلال أسلوب الحوار الذى أضفى حيوية وحركية، مكنت القارئ من استحضار المشهد وكأنه يراه.

٢- **الأساليب الإنشائية** لا يمكن أن يستمر الشاعر على وتيرة أسلوبية معينة، بل إنه يمازج بين الأساليب، بما يوضح غرضه، ويعكس انفعاله، ويطابق حال المخاطب، وتوجد أساليب الإنشاء الطلبي في شعر الصبر والجزع عند الطغرائي بكثرة، نعرض منها ما يلي:

أ- **الاستفهام:** وهو من الأساليب التي لها تأثير قوي في جذب المتلقي، ويستخدمها الشاعر" ليجنب نفسه الصور التقريرية لمباشرة، واستبدالها بصور إيحائية، تزيد المعنى دلالة وعمقًا، ويتقبلها المتلقي بشغف ولهفة"(١)، ويجيد الطغرائي استخدام أسلوب الاستفهام، لإبانة غرضه، وإبراز شعوره، وتقوية معانيه، ومن أغراض الاستفهام لديه:

- **التمني،** كما في قوله(٢): [من الطويل]

لـك الله إنـي ناشـد كبـدٍ بهـا صـدوع فهـل مـن منشـد فيثابـا؟

وهـل عنـدكم صـبر جميـل فتعمـروا فـؤادًا مـن الصـبر الجميـل خرابـا؟

(١) القيم الجمالية في الشعر الأندلسي: عصر الخلافة والطوائف، آزاد محمد كريم الباجلاني، ط١، دار غيداء للنشر عمان- الأردن، ٢٠١٣م، ص٢٨٧.

(٢) الديوان، ص٦٨.

وهــل فــيكم راق فيشــفي برقيــةٍ لــديغُ هــوىً يرجــو لديــه ثوابــا؟

فالاستفهام – كما هو واضح– يحمل معنى التمني والتودد إلحاحا في الطلب، ويعكس مدى قلق الشاعر وجزعه لما ألم به من أزمات ونكبات يعانيها فؤاده، استطاع من خلاله أن يشرك القارئ معه في إحساس ولهفة.

– **التحسر**، كقوله(١): [من البسيط]

فأينَ عصرُ شبابٍ لا رجوعَ لـه أم أين أنتَ ومالي عنكَ من خبرِي؟؟

فهو يتحسر على أيام الشباب التي ولت بلا رجوع، وعلى صديقه الذي رحل عنه بالموت، وقد انقطعت أخباره عنه.

– **الاستبعاد**، كما في قوله(٢): [من الوافر]

يقولــونَ اصــطبِرْ وتعــزَّ عنهــا وكيــفَ عــزاءُ مطعــونِ الفــريصِ؟

إنـه يسـتبعد أن تتقبـل نفسـه عـزاء أو اصـطبارا، إذ إن قلبـه يتفطـر ألمًـا وينزف دمًا على فقد حليلته.

– **الاستنكار**، كقوله(٣): [من البسيط]

ولــو أنــي قــدرتُ شــققتُ قلبــي فكيــف أُلامُ فــي شَــقَّ القمــيصِ؟

حيث يستنكر الشاعر ويتعجب من لوم الناس له حين شق قميصه جزعًا لفقد زوجته، ولو كان الأمر بإمكانه لشق عن قلبه، والاستفهام هنا يعكس عظم مصاب الشاعر ويأسه، وما وصلت إليه نفسه من جزع واحتراق يتدافعان في صدره كالحمم الملتهبة؛ وقد نقل إلينا هذا الإحساس ما أعطاه الاستفهام من حركية وانفعال أثارا الانتباه.

ب– النداء: أسلوب النداء من الأساليب التي يعتمدها الشاعر للتعبير عن انفعالاته، فضلا عن قدرته على جذب المتلقي إليه، "فهو لا يجهر بأدوات

(١) الديوان ، ص١٩٦.

(٢) السابق، ص٢٠٨.

(٣) السابق، ص٢٠٩.

النداء إلا ليعبر عما يثير مشاعره ويخلق أفكاره التي ترتبط في الوقت نفسه بالمخاطب قربا وبعدا في المكان أو المنزلة أو الذاتية الاجتماعية"[١].

وقد وجد الشاعر في أسلوب النداء ما يمكنه من إرسال آهات ألمه وإعلان جزعه الذي نتج عجزه عن تحمله لفقد زوجته، يقول الطغرائي[٢]: [من الطويل]

ويا صبرُ زُلْ عنِّي ذميماً وخَلِّني ولوعةَ وجدي والدموعَ التي تَمْرِي

حيث نلاحظ جزعًا صريحًا في النداء الذي يحمل معنى الزجر والرفض للصبر "يا صبرُ زُلْ عنِّي ذميماً"؛ وتشخيص الصبر ونداء الشاعر له بهذا الأسلوب يكشف عن فداحة الخطب، ولاشك أن مثل هذا النداء يؤثر في وجدان المتلقي، وينقل إليه انفعال الشاعر بأقوى مما يستطيعه الخبر.

كما نجد ذلك النداء الذي يحمل معنى الدعاء والاستعانة بالله، كما في قوله[٣]:[من البسيط]

يا ربِّ إن كان عيشي هكذا غُصصاً فامنُنْ عليّ بموتٍ فهو أرْوَحُ لي

حيث يجأر الشاعر إلى ربه بالدعاء مستعينًا به؛ لينقذه مما هو فيه – من محن– بالموت إن ظلت حياته هكذا غصصًا، وهو نداء يعكس مدى عجزه وعدم القدرة على تحمل مصابه.

كذلك النداء الذي يحمل معنى التحسر في قوله[٤]: [من الطويل]

فيا أسَفا ألا تزاورَ بيننا ويا حسرتا أنْ لا لقاءَ إلى الحَشْرِ

(١)ينظر :جماليات الخبر والإنشاء(دراسة بلاغية جمالية نقدية) ،د.حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، ط٢، ٢٠٠٥م، ص١٥٠.

(٢) الديوان، ص١٥٣.

(٣) السابق، ص٣١٢.

(٤) السابق، ص١٥٥.

ج- أسلوب الشرط: يُؤدي الشرط وجوابه جانبًا مهمًا من جوانب تماسك النص وترابطه؛ لأنه" تعليق حصول مضمون جملة بحصول مضمون جملة أخرى"، وبه تحصل الفائدة، وهو من الأساليب الإنشائية على رأي أئمة البلاغة لإفادته الاستقلال، وهو نمط شائع في شعر الصبر والجزع عند الطغرائي، ومن أمثلته قوله(١): [من الطويل]

ومَنْ يستعنْ بالصبرِ نالَ مرادهُ ولو بعدَ حينٍ أنَّه خيرُ مُسْعِدِ

حيث أداة الشرط (من) التي للعاقل، وفعل الشرط (يستعن)، وجواب الشرط (نال) والارتباط هنا بين فعل الشرط وجوابه ارتباط تلازمي؛ لأن نيل المطالب مرتبط بالصبر وملازم له، ويهدف الشاعر من خلال هذا الربط إلى ترويض النفس، وضرورة حملها على الصبر؛ لما له من عواقب وفوائد عظيمة على الإنسان ماديًا ومعنويًا.

وقوله(٢): [من الطويل]

إذا ما تمطَّتْ زفرةٌ بضلوعهِ تصدَّع قلبٌ أو تحطَّم أضْلُعُ

حيث الارتباط بين فعل الشرط وجوابه ارتباط سببي، فزفرة الضلوع سبب في تصدُّع القلب وتحطم الأضلع، والشاعر يقصد بهذا الربط بيان حال النفس عند الاكتواء بنار الفقد.

د-أسلوب الأمر: لأسلوب الأمر جمالية تتمثل في نقله للجملة أو التعبير اللغوي من حالة الركود إلى الحركة، بما يثيره في وجدان المتلقي من يقظة، ودافعية لتبيُّن الغرض، وفهم الخطاب، حيث "تخرج صيغ الأمر عن معناه الأصلي وهو (الإيجاب والالزام) إلى معان أخرى: تستفاد من سياق الكلام، وقرائن الأحوال"(٣)، وتتعلق بهذه المعاني فوائد، وأغراض، يؤديها

(١) الديوان ، ص١٣٤.

(٢) السابق، ص٢١٩.

(٣)جواهر البلاغة في المعانى والبيان والبديع،ص ،السيد أحمد الهاشمى، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلى،ط:١،المكتبة العصرية -بيروت،١٩٩٩م، ص ٧١.

أسلوب الأمر في سلاسة ويسر، وببلاغية تصيب المعاني، وتبلغ التأثير في إيجاز، من هنا كان بروزه في شعر الصبر، وتراجعه في الجزع، ومن أمثلته قول الطغرائي في النصح والإرشاد(١): [من البسيط]

فاصبرْ وفَكِّرْ ولا تضجر لطولِ فالصبرُ مفتاح قتل قفل الحادثِ

حيث يوجه الشاعر النصيحة لكل إنسان ناله أي مكروه أن يصبر ولا يضجر من طول الابتلاء، فالصبر مفتاح انفراج لكل أمر عسير.

- التحذير، كما في قوله(٢): [من الكامل التام]

أهْونْ بصرف الدهر إنَّ لهُ حدًّا إذا قاومتهُ انْكَسَرا

حيث الفعل "أهون" يحمل معنى التحذير، لما قد ينتج عن الجزع من مغبات.

هـ-أسلوب النهي: يجذب انتباه المتلقي، ويؤثر في وجدانه؛ لما فيه من القوة والمباشرة، حيث إن النهي هو " طلب الكف عن الشيء على وجه الاستعلاء مع الإلزام، وله صيغة واحدة، وهي المضارع المقرون بلا الناهية" (٣)، وهو يخرج عند (الطغرائي) إلى أغراض بلاغية منها:

-**الحث والنصح**، كما في قوله(٤): [من السريع]

لا تجزعنْ إن فاتَ ما رمتهُ واشْدُدْ عُرى عزمكَ بالصبرِ

حيث يستخدم الشاعر صيغة النهي المكونة من(لا الناهية+ الفعل المضارع المؤكد بنون التوكيد الخفيفة) في قوله: "لا تجزعن"، ليحثه على الصبر، وشحذ الهمة وعدم التكاسل عند فوات الفرص.

---

(١) الديوان، ص ١٦٥.

(٢) السابق، ص١٥٩.

(٣) جواهر البلاغة، ص ٧٦.

(٤) الديوان، ص١٦١.

- **الالتماس والائتناس**، كما في قوله[١] : [من الطويل]

ولا تيـأسْ مـن صـنعِ ربـكَ إنَّـهُ ضـمينٌ بـأنَّ الله سـوف يُـديلُ

فقد جمع الشاعر بهذا النهي البديع بين الالتماس والائتناس، لجذب الانتباه مع إعطاء التعبير حيوية ورقة.

- **التمني:** تكمن جمالية أسلوب التمني في نقله الصادق لأحاسيس الشاعر، وما يعتمل في وجدانه، من رغبة، أو محبة لوقوع أمر ما، وهذا الأمر قد يقع في نطاق المتاح، ويتصل بالواقع، وقد ينصرف التمني إلى ما هو مستحيل الوقوع، فمن تمنى المستحيل الوقوع قول الطغرائي[٢]: من الطويل]

ألا ليتنـا لـم نصـطحبْ عُمْـرَ ليلـةٍ ولم نجتمعْ من قبلِ هذا على قَدْرِ

فالشاعر يتمنى لو عاد به الزمن فلم يجمعه بها القدر، وهذا التمني يبرز تحسر الشاعر وندمه على ما فاته من الزمان، وهو أمر يستحيل وقوعه لكون الزمن لا يعود –بعد فواته– مرة أخرى.

وفي تمنى المُحتمل الوقوع يتمنى الشاعر لقاء الحبيبة حيث أراد، وذلك في قوله[٣]: [من الطويل]

تمنَّـــى رجـــالٌ مـــا أرادوا وإنَّمـــا تمنَّيْـــتُ أن ألقـــاكَ حيـــثُ أُرِيْـــدُ

وهذا التمني يعكس تعلق الشاعر بمحبوبه، ومدى حبه له، حيث إن أمنيته في لقائه فوق كل ما يتمناه الرجال، وهو أمر وقوعه ممكن وغير مستحيل.

ي- التقديم والتأخير: إن أسلوب التقديم والتأخير عند الشعراء يُظهر القدرة الإبداعية في تشكيل المعاني وألوان الحس وظلال النفس، "وترصد الأسلوبية ظاهرة خروج السياقات عن شكلها المألوف، وعد هذا الأسلوب ظاهرة أسلوبية ذات انزياح سياقي رفيع ، وبعد خالد بتصريف فنون

(١) الديوان ، ص٢٩٧.
(٢) السابق، ص١٥٢.
(٣) السابق، ص١٤٢.

الكلام"[١] وغالبا ما يأتي التقديم والتأخير لغايات جمالية "قد تكون ذات ارتباط بالمعنى أو لتحقيق التشويق، أو الاختصاص"[٢]، وفيه يظهر المبدع خصوصية اللفظ المقدم على اللفظ المؤخر بما يخدم غرضه، ويتفق مع ما يشعر به، وذلك يبرز في دعاء الطغرائي على نفسه قائلاً[٣]: [من البسيط]

إنْ ساغَ بعدكَ لي ماءٌ على ظمأٍ فلا تجرعتُ غيرَ الصابِ والصبرِ
وإن نظرتُ من الدنيا إلى حَسَنٍ مُذْ بِنْتِ عنِّي فلا مُتِّعْتُ بالنَّظَرِ

نجد في قول الشاعر(إن ساغ بعدك لي ماء على ظمأ) تقدم الظرف، والمضاف إليه الذي يرتبط به، وكان حقه التأخير؛ لتعلقه بالفعل(ساغ) فالنمط القياسي للسياق هو(إن ساغ لي ماء على ظمأ بعدك)، ولكن اهتمام الشاعر بإيراد أداة الشرط (إن) التي تفيد الشك، وفعل الشرط(ساغ) وجوابه (فلا تجرعت غير الصاب والصبر) يعكس صورة الجزع الذي أصاب الشاعر، وفقدت حاسته كل لذيذ مستلذ حتى بد ساخطًا على نفسه، فهذا الاهتمام بإيراد الصورة الرئيسية، والأفكار المحورية كان السبب في مجيء السياق الوارد في صدر الشطر الثاني –من البيت الذي يليه– بالشكل الذي هو عليه (مذ بنت عني).

ثالثا: الظواهر البديعية: المحسنات البديعية ظاهرة عرفها الشعراء فطرة وطبعا، قبل أن تحددها مصطلحات علم البديع [٤]، وهي قد لازمت الشعر

---

(١) ينظر : التقديم والتأخير في القران الكريم ،د.احمد عيسى العامري دار الشؤون الثقافية العامة _ بغداد الطبعة الأولى ١٩٩٦م، ص٧.

((٢) الأسلوبية العربية(دراسة تطبيقية)، أحمد طاهر حسنين ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة الطبعة الأولى ٢٠٠٠م، ص٢١٤.

(٣) الديوان، ص١٩٦.

(٤) رأى ابن خلدون، "هو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق: إما بسجع يفصله، أو تجنيس يشابه بين ألفاظه، أو ترصيع يقطع أوزانه، أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفي منه، لاشتراك اللفظ بينهما، أو طباق بالتقابل بين الأضداد وأمثال ذلك" ينظر: علم البديع، عبدالعزيز عتيق، د. ط، دار النهضة العربية– بيروت، د.ت، ص ٧.

واستقرت في الذائقة لحسن وقعها، وللشاعر أن يأخذ من تلك المحسنات بقدر، فلا يترك، ولا يسرف، هذا، وتشيع المحسنات البديعية في شعر(الطغرائي) الذي يغلب عليه العناية باللفظ، مع الغوص وراء المعاني، وهو ما أعرض له في المحاور التالية:

١-**الطباق:** وتكمن جماليته في الجمع بين اللفظين المتجاورين في الجملة مع ما بينهما من تخالف، وهذا من شأنه أن يبرز المعاني بأضدادها، فاللفظ إذا وُضع بجوار ضده اتضح معناه، وحسُن وقعه، فهو "الجمع في الكلام بين الألفاظ ذات المعاني المتضادة أو المتناقضة" [(١)]، وشواهده في شعر الطغرائي كثيرة منها[(٢)]:[من الكامل التام]

مرضَ النسيمُ وصحّ والداءُ الذي أشْكوهُ لا يُرجى له إفراقُ

فالطباق بين كلمتي "مرض" و"صحَّ" قد أبرز حالة الجزع التي أصابت الشاعر، فالنسيم يمرض ويصح، أما الشاعر فقد أصابه داء الهوى والحب الذي لا يُرجى منه شفاء، وهي صفة ملازمة للشاعر، أظهرها الطباق في إيجاز، كما وشح المعنى بجمالية التضاد الذي يستشعره القارئ، وينتبه إلى مغزاه.

وفي قوله[(٣)]: [من الكامل التام]

تغشى سهامُ النائباتِ مقاتلي زرقًا ويتبع الأخيرُ الأولُ

حيث أبرز الطباق بين لفظتي "الأخير" و "الأول" مبلغ ذلك التتابع المستمر لتوالي الخطوب عليه، وقد أبان هذا الطباق عن مدى يأس الشاعر وجزعه مما ألمّ به.

(١)البديع من المعانى والألفاظ، د.عبدالعظيم إبراهيم محمد المطعنى، مكتبة وهبة-القاهرة، ط: ٢، ٢٠١٥ م، ص ٧.

(٢) الديوان، ص٢٦٠.

(٣) السابق، ص٢٩٠.

٢-**المقابلة:** تكون المقابلة بين أكثر من لفظين، حيث يأتي الأديب أو الشاعر بمعنى من خلال تركيب معين، ثم يأتي بمقابل ذلك المعنى على الترتيب، ويقتضى ذلك من الشاعر قدرة على تمييز المتضادات، وتنسيق المقابلة بينها، وهذه المقابلة تبرز المعنى حالها حال الطباق، كما تلفت المتلقي إلى ذلك التضاد بين المعاني فيلتفت له، ويتمكن المعنى من نفسه، وقد حفل شعر الصبر والجزع عند الطغرائي بالعديد من نماذج المقابلة، ومن ذلك قوله(١): [من الكامل التام]

فيسرني ليلاً بحسن وفائه ويسوؤني صبحًا بقبح جفائه

أبكي فيبكي غير أن دموعه صِرف ودمعي ممزج بدمائه

فقد جاء الشاعر-في البيت الأول- بمعاني متوافقة متناسبة، هي (السرور، والليل، والحسن والوفاء)، ثم جاء بمقابل هذه المعاني وهي (السوء، والصبح، والقبح والجفاء) على الترتيب، والملاحظ اجتماع المقابلة مع مراعاة النظير في هذا البيت، حيث إن الطرف الأول من المقابلة أمور متناسبة، ومجلبة للسعادة، وتجتمع في الذهن بهذا المعنى، وكذا نجد الطرف الثاني أمور مجلبة للشقاء ولها ارتباط في الذهن بهذا المعنى.

كما برع الطغرائي في إقامة المقابلة المعنوية -إن جاز التعبير -بين شطري البيت، ومثالا على ذلك، قوله(٢): [من الطويل]

أروحُ وقلبي بالهمومِ معذبٌ وأغدو وعيني بالدموعِ سَفُوحُ

فشطر البيت الأول يحمل معنى الهم الذي يعانيه الشاعر خوفًا من أمور مستقبلية، وشطره الثاني يحمل معنى الحزن على ما مضى من: فقد، وصد، وهجر، فالمقابلة هنا بين معنى ومعنى لا بين تركيب لفظي، وآخر يقابله في الترتيب.

---

(١) الديوان، ص٤٣.

(٢) السابق، ص١١٤.

وطريقة الشاعر هذه تقترب مما يسمى في النقد الحديث: بالمفارقة، حيث يقع التناقض بين معنيين، أو صورتين، ولا يكون للألفاظ نصيب في ذلك، وإنما ينصب الاهتمام على المفارقة بين المعاني أو الصور.

٢-**التضمين** [١]: هذا اللون من ألوان البديع، يكون بإدخال الشاعر على نصه، بيتا أو جزء بيت لشاعر آخر، إعجابا به، أو لما يراه في المزج بين النصين من مهارة، يطرب لوقعها المستمع، ولابد للشاعر أن يحسن التنسيق بين ماله وما للشاعر المَضمّن له، وإلا ليس لفعله مزية، وأن يظهر هذا الذي ضمنه، فيضعه بين قوسين، إن لم يكن مشتهرًا، وإلا دخل الأمر حيز السرقة والانتحال، ومن استقرائي لديوان (الطغرائي) وجدت أنه -في شعر الصبر والجزع – ضمن أجزاءً من قصيدته "جامل عدوك" أبياتًا لابن المعتز، حيث يقول الطغرائي[٢]:[من الكامل التام]

فاصبرْ على غيظِ الحسودِ فنارهُ ترمي حشاهُ بالعذابِ الخالدِ

أو ما رأيتَ النارَ تأكلُ نفسَهَا حتى تعودَ إلى الرمادِ الهامِدِ

تضفو على المحسودِ نعمة ربه ويذوبُ من كَمَدٍ فؤادُ الحاسدِ

حيث ضمّن الشاعر أبياته من قول ابن المعتز[٣]: [من الكامل المجزوء]

اصبر على حسَدِ الحسودْ دِ فإنَّ صبركَ قاتلهُ

فالنَّارُ تأكلُ بعضَها إنْ لمْ تجدْ ما تأكلهُ

عرضت -فيما سبق- لألفاظ وأساليب (الطغرائي) في شعر الصبر والجزع، ووقفت على طبيعة ألفاظه، ومدى مناسبتها لغرضه، حيث جرت ألفاظه مجرى السهولة، وابتعدت عن المعجمية الشديدة، أو الإلغاز، وناسبت

(١) "أن يضمن الشاعر شيئا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورا عند البلغاء" البديع من المعانى والألفاظ، ص ١٦٩.

(٢)الديوان، ص١٣٥.

(٣)ديوان ابن المعتز، فسر الفاظه الغريبة ووقف على طبعه: عبد الباسط الأنسي، مطبعة الإقبال – بيروت، (د،ط)، ١٣٣٢هـ، ص٤١٠.

الألفاظ المنتقاة كل غرض وضعت لأجله، فاشتدت في موضع الشدة ، ولانت في مواطن الرقة، ثم عرضت إلى أساليبه وتنوعها بين الخبر والإنشاء، وألممت في معرض الحديث عن الأساليب الخبرية بأسلوب القص أو الحكي، وفصلت فيما اتسع له المقام بتنوع الأساليب الإنشائية، وتصرف الشاعر فيها لأداء معناه، والتأثير في قارئه، ثم عرضت للظواهر البديعية في شعره من: طباق، ومقابلة، وتضمين، وقد تبين من كل ذلك، عناية الشاعر بصياغة معانيه صياغة وافية، وتوشيحها بمحسنات البديع، مما أضفي عليها حلاوة الجرس، وحسن الوقع، دون إسراف، أو إسهاب.

المبحث الثاني: العاطفة

العمل الأدبي روحه العاطفة، فهي منبع جماله وتأثيره، وسر خلوده، كما تنتقل من الإحساس المبهم إلى الإدراك عبر الأداء الفني الذى "يخلق عملاً أدبياً فيه مقوماته الفنية التي تكفل _فنياً_ تبرير الأحاسيس والأفكار والإقناع بها لدى القارئ"(١).

وهذه العاطفة تنساب في شعر الصبر والجزع عند الطغرائي وتسرى في جوانب قصائده صادقة قوية مؤثرة، " قاده طبعه وإحساسه إلى أن يوشح شعره بحرارة العاطفة" (٢)، بالشكل الذى يخدم تنامى القصيدة ويروج لتأثيرها، وتدور العاطفة في شعر هذا الجانب عنده حول: الصدق، والقوة، وهو ما سأعرض له فيما يلي :

أولاً: قوة العاطفة: لاشك أنّ قوة العاطفة تنبع من صدق واقعية التجربة في حياة الشاعر، وقد تخيرت من شعر (الطغرائي) نموذجاً فريداً في تجربته الإنسانية العامة، وهو: القصائد التي يرثى فيها زوجته، حيث العاطفة العامة

(١) فى النقد التطبيقى والمقارن، د.محمد غنيمى هلال، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: ٢، ٢٠٠٩م، ، ص: ١٢٨ (بتصرف يسير).

(٢) مقال بعنوان"شعر دعبل الخزاعي بين توهج العاطفة وعمق الانتماء"، م.د .ستار عبد الله جاسم، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد: ٣٨، ٢٠١٥ م، ص: ٢١.

هي الحزن الذى سيطر على نفس الشاعر فبثه في مرثيته، حين اعتصرت الآلام نفسه و"بسبب تلك الآلام كان الوحى، أي الإبداع، وكان الإبداع وسيلة لإخضاع تلك الآلام، فلولا الآلام ما كان الوحى" (١)، وهذا يضعنا بإزاء تجربة واقعية مريرة، تنبع قوة العاطفة فيها من:

- **قوة الأداء**، وذلك في قوله(٢): [من الطويل]

أقولُ وقد غالَ الردى من أُحبهُ ومَنْ الذي يُعدي على نوب الدهرِ

أأبقى حُطامًا باليًا فوق ظهرِها ومِن تحتها خرعوبة الغصن النضرِ

أعينيَّ جودا بالدماء وأسعدا فقد جلَّ قدرُ الرزءِ عن عَبْرة تجري

أذمُّ جُفوني أنْ تضنَّ بزُخْرِها وأمقتُ قَلْبي وهو يهدأُ في صَدري

نكاد نشعر بحرارة الأداء النابعة من صدق الشاعر، حيث تتحول الأبيات إلى نغمات عالية من الحسرة والألم، تتصاعد منها زفرات الندب والجزع؛ لتلفح الوجدان كأنها النار تلتمس امتدادًا، أو الشعلة التي يشعل بها الشاعر فؤاده المكلوم.

- **قوة الدافع**، كما في قوله(٣): [من الطويل]

ولمْ أنْسَها والموتُ يقبِضُ كفَّها ويبسطُها والعينُ ترنو وتطرقُ

وقد دَمعتْ أجفانُها وكأنَّها جنى نرجسٍ فيه النَّدى يترقرقُ

وحلَّ من المحذورِ ما كنتُ أتقي وحُمَّ من المقدورِ ما كنتُ أفرقُ

وقيلَ فِراقٌ لا تلاقِي بعدهُ ولا زادَ إلاّ حسرةٌ وتحرُّقُ

فقد استطاع الشاعر أن يصور لنا الفاجعة تصويراً نكاد نراه بأعيننا ونحسه بوجداننا، يقوم على الوقائع الحقيقية وليس على الوقائع الخيالية، نراه

(١) التفسير النفسى للأدب، د.عز الدين إسماعيل، مكتبة غريب-القاهرة، ط: ٤، د.ت، ص: ٢١-٢٢ (بتصرف يسير).

(٢) الديوان، ص١٥١.

(٣) السابق، ص٢٦٤.

في مشاهد ولقطات خروج الروح(يقبض كفها ويبسطها، والعين ترنو وتطرق، دمعت أجفانها" فقد كانت هذه المشاهد المروعة دافعا حقيقيًا لتحريك عاطفة الشاعر وانثلام وجدانه.

– **قوة الانفعال،** وهو ما نلمسه في هذا الجزع الصارخ و الحزن الناضح في قوله(١): [من الطويل]

فيا نومُ لا تعمرْ وسادي ولا تطرْ بمقلةِ مرهومِ الأرازين بالقطرِ
وما لكما يا مقلتيَّ وللكَرى ونورُكُما قد غابَ في ظلمةِ القبرِ
فما عثرة الساقي بكأسِ رويةٍ بأغزرَ فيضًا من دمائِكما الغِزْرِ
ويا موتُ ألحقنِي بها غيرَ غادرٍ فإن بقائي بعدَها غايةُ الغَدْر
ويا صبرُ ذُلْ عنِّي ذميمًا وخَلِّني ولوعةَ وجدي والدموعَ التي تَمْرِي
ولا تَعِدَنِّي الأجرَ عنها فإنَّها ألذُّ وأحلى في فؤادي من الأجرِ

الذي يقرأ هذه الأبيات لا يمكن أن يمسك نفسه من البكاء لحرارة العاطفة التي تطفح عليها، وقد نبع هذا التأثير من تواشج العاطفة بالألفاظ فجاءت ناضحة بالأسى العميق، مصبغة بألوان العاطفة، حتى لكأنها زفرات ألم وأنّات لوعة، فسمعنا دويها بين جنبات القصيدة التي تنطق بجزع الشاعر، وفقده السيطرة على نفسه.

ثانيًا: صدق العاطفة: كلما كان دافع الشاعر حقيقيا، كانت عاطفته صادقة، ومنها تتولد الانفعالات الصحيحة التي تجعل للقصيدة تأثيرًا في النفوس، إذ إن "الأغراض كلها لا تصلح ولا تسمو إلى مواطن الجودة إلا بالصدق"(٢)، ومن العاطفة الصادقة تتولد الانفعالات الصحيحة التي تجعل القصيدة مؤثرة في نفوس المتلقين، وإذا كان دافعه كاذبًا أو مصطنعًا ظهر في شعره التكلف

(١) الديوان، ص١٥٣.

(٢) المذاهب الأدبية في لشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية، علي صبح، تهامة – جدة– السعودية، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، ص٢٢٠.

والصنعة، وفقد تأثيره في المتلقي، وبالنظر إلى صدق العاطفة في شعر الصبر والجزع عند شاعرنا نجدها تتمثل في:

- **صدق الدافع**، كما في قوله[1]: [من البسيط]

تفـردَّ اللهُ بالتقـديرِ مـا اشـتركتْ فيـه نجـومٌ ولا شـمسٌ ولا قمـرُ
فكِـلْ إلـى الله مـا أعيـاكَ مطلبـهُ فسـوف يـأتي بمـا لا تَأمـلُ القـدرُ
فـالخيرُ والشَّـرُّ منـه جاريـان علـى مـا شـاءَ لا حيلـةٌ تغنـي ولا حـذرُ

فقد استيقن الشاعر بأن مقدر الأقدار إنما هو الله وحده(تفرد الله بالتقدير)، وليس ذاك لأحد من خلقه، (ما اشتركت فيه نجوم ولا شمس ولا قمر)، ولعلها رسالة لكل غافل يحمل وقوع الخير والشر على الأسباب فحسب، دون الانتباه إلى مسبب الأسباب وخالقها- تعالى الله عمّا يظنون- فالله هو الحقيق بالتوكل عليه، وبه يأتي بما يعجز الإنسان عن شكره،(فسوف يأتي بما لا تأمل القدر)، وقد بدا صدق الدافع مصبوغًا بصبغة دينيه تفيض بإيمان شاعرنا بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، ولعل هذا يشفع له تجاوزه الحد المطلوب للمسلم، حين عبر عن جزعه فيما سبق من نماذج رثاء زوجته.

- **صدق الانفعال**، كقوله[2]: [من الكامل التام]

أفـدي التـي اسـتودعْتُها بَطْنَ الثَّـرى وأبنْتُهـا عنـي برغمـي مجبَـرا
تـاللهِ مـا اختـرتُ التوقـفَ سـاعةً مـن بعدِ يومِكِ لـو خُلقْتُ مُخَيَّرَا
يـا ليـت أنـكِ بالحِـذَا مـن نـاظِري وسـوادُهُ لـكِ مـوطِئٌ دونَ الثَّـرى

هذه الأبيات الناضحة بالصدق العاطفي قد التحم فيها بمستمعيه، ناطقًا بما يمور في وجدانه من صدق وإحساس بألم الفراق رغم أنفه (وأبنْتُها عني برغمي مجبرا)، ويخاطبها بأمنية، كأنها بين ناظريه على قيد الحياة يبثها آلامه

(١) الديوان، ١٦٤.
(٢) السابق، ص١٥٥.

وأشواقه(يا ليت أنكِ بالحذا من ناظري)، ولا شك في انفعال المتلقي ازاء هذا الخطاب القابض على القلوب يعتصرها حنينًا وألمًا انفعالًا مع الشاعر.

ويكاد بناء تلك الأبيات يشف عن عاطفة الشاعر، دون إخفاق أو ارتباك أو تصنع، فحديثه من القلب إلى القلب، دون أدنى مواربة، أو تلعثم، أو تكلف.

– **صدق الأداء**، ومن ذلك قوله[١]: [من البسيط]

أقـولُ للقلـبِ لَّمـا فـاتني جَزَعًـا: يـا قلبُ ويحَكَ إن لـم تسْلُ فانصَدِعِ

أكلَّمـــا منـــعَ الأيـــام جنابَهـــا لانـتْ حصاتُك بين الخوف والطَمَعِ

تسَلَّ عمَّا مضَى إذ ليس مرتجعًا وأقلِـلِ الفكـرَ فيمـا بعـدَ لـم يقَـعِ

حيث يبث الشاعر حديثًا إلى نفسه، في مصارحة وجدانية راقية رقراقة عامرة بالتصبر والإيمان، مجددًا الأمل في نفسه حتى يستطيع التغلب على الأزمات التي تكتنف وجوده، حيث عبارات(يا قلب ويحك ، تسلَّ عما مضى، أقلل الفكر)، فهذه عبارات صادقة يلتبس فيها صدق التعبير بصدق العاطفة، فالحياة لا تتحمل الوقوف للتباكي، والأمل في لطف الله باق، فوق كل يأس وكل شك، فكان كمن يستخرج الأمل من كنف اليأس، وقد ظهر ذلك جليًا في ألفاظه وصوره.

ومن تلك النماذج وغيرها، نجد أن صدق العاطفة مبدأ أصيل في شعر الصبر والجزع عند شاعرنا، فشعره صورة لنفسه، وليس قناعًا يختبئ خلفه، أو صناعة يجيدها، فهو لا ينطق إلا عن دافع شغل فكره وملأ وجدانه، وهو ما أفصح عنه أداؤه، وباحت به ألفاظه ومعانيه، وأوحت به صوره.

(١) الديوان، ٢٤٦.

المبحث الثالث: الصورة الشعرية

تعد الصورة الشعرية –في العمل الأدبي– وسيلة بنائية هامة، لا يقتصر دورها على الجمالية وتوشيح المعاني بما يناسب الغرض فحسب، بل تمتد لأبعد من ذلك وفق مقدرة الشاعر الفنية، فهي "وسيلة الشاعر لاستدعاء عناصر الطبيعة وصور الأشياء وسائر ما اختزنه في ذاكرته من الحياة والكون، ثم يتصرف في ذلك كله بالتحليل والتركيب، أو البناء والهدم، أو بالحذف والإضافة ليؤلف عالما جديداً خاصاً به يتواءم مع وجدانه وعاطفته" (١).

وبالنظر إلى الصورة في شعر الصبر والجزع عند شاعرنا نجد أنه يجيد تشكيلها للوصول إلى تقريب المجهول، وتعميق القيمة الفكرية والشعورية من خلال أنماط وتقنيات مختلفة، وهو ما سأتناوله فيما يلي:

أولاً: أنماط الصورة: يمتلك الشاعر القدرة على تشخيص المعنويات وتجسيديها، من خلال اللغة التصويرية، هذه اللغة التي تستثير حواس المتلقي، حتى لكأنه يعاين المعنى، ويحيا مع الشاعر في انفعالاته وعواطفه التي تلقى الصور بظلالها على وعيه، وشعوره، وقد آثرت أن أدرس الصورة لدى الطغرائي من خلال الصور الجزئية، والصور الكلية، وذلك فيما يلى:

١– **الصور الجزئية:** يستخدم الشاعر الصور الجزئية ذات الطاقة التعبيرية؛ بغرض تقوية المعنى، في إيجاز، كما أنها تحمل بالضرورة البعد النفسي للتجربة الشعرية وليست منفصلة عنها بحال، ومن هذه الصور:

(١)أغراض من الشعر العباسى بين: الرؤية والتشكيل الصورى، د. صبرى أبوجازية، دار الهانى للطباعة والنشر، ط١ ،٢٠١٠م، ١/٨٥.

أ- **التشبيه البليغ**:ويمكن تعريفه بأنه" التشبيه الذى لم تذكر فيه أداة التشبيه، ولم يذكر فيه أيضا وجه الشبه" [١]، وهنا مكمن بلاغته، إذ يجعل المشبه به عين المشبه دون توسط الأداة أو ذكر لوجه الشبه، كما في قول الطغرائي[٢]: [من المنسرح]

نارُ الهوى تسْبكُ القلوبَ وبال صبرِ عنْها تَفاوتُ القيمُ

حيث يشبه (المعنوي) وهو :الهوى بـ(الحسى) وهو النار، وقد نجح الشاعر في إقامة علاقة المشابهة التي يتقوى بها المعنى ويتضح، وهو دأب درج الشعراء عليه؛ حيث تشبيه الحب في ألمه ولوعته بألم النار وإحراقها.

وقوله[٣]: [من الطويل]

أُحَذِركمْ طُوفانَ دمعي فبدِّلوا -إذا أزِفَ البينُ- الركائبَ بالسُّفْنِ

حيث شبه دمعه في كثرة انسكابه بالطوفان الذي يجتاح الأرض.

ب- **التشبيه المُجْمل**[٤]: هذا النوع من التشبيه يأتي وسطا في جماليته بين التشبيه البليغ والتشبيه المفصل الذى يذكر فيه وجه الشبه، فمما لاشك فيه أن ترك وجه الشبه لاستجلاء المتلقي يتيح له فرصة أكبر للتفاعل مع النص، والوقوف على المعنى، ومن ذلك قوله[٥]:[من الكامل التام]

فلمْ أرَ مثل الشكرِ حارثَ نعمةٍ ولا ناصراً عند الكريهةِ كالصبرِ

(١) "البلاغة العربية"،عبدالرحمن بن حسن حبَنّكة الميدانى الدمشقى،،دار القلم -بيروت، ط ١، ١٩٩٦ م، (١٧٣/٢).

(٢) الديوان، ص٣٦٣.

(٣) الديوان، ص.٣٩٠

(٤)أي: ذكرت فيه أداة التشبيه، لكن لم يذكر فيه وجه الشبه، مثل قولنا: "خالد كالأسد."،ينظر: "البلاغة العربية"، عبدالرحمن بن حسن حبَنّكة الميدانى الدمشقى، (١٧٣/٢).

(٥) الديوان، ص١٦١.

ففي هذا البيت تشبيهان الأول : أعطى معنى المطابقة، وأداته (مثل)، كما في قوله: "فلم أر مثل الشكر حارث نعمة" حيث شبه الشكر بإنسان يحرس النعمة.

والتشبيه الثاني: أعطي معنى المشابهة، وأداته(الكاف)، كما في قوله: " ولا ناصراً عند الكريهة كالصبر"، حيث شبه الصبر بإنسان قوي الذي يستعين به المقاتل– أثناء المعركة– في النصر على أعدائه.

ج– التشبيه التمثيلي: يعتمد هذا النوع من التشبيه على دقة الشاعر ومهارته في خلق التشابه على أكثر من مستوى، فهو تشبيه حالة بحالة او هيئة بهيئة، ويلزم أن تتركب هذه الهيئة من عنصرين أو أكثر، ومن نماذجه عند الطغرائي في شعر الصبر والجزع قوله في رثاء "معين الملك"[1]: [من الطويل]

وأسْـــلمني للنائبـــاتِ بِعَـــادُهُ كما أسلمَ العظمَ المهيضَ جبائِرهْ

حيث يشبه حالة ضعفه وعدم قدرته على تحمل النائبات عند رحيل الملك، بهيئة العظم المهيض؛ لفقده القوة بالكسر الذي أصابه؛ ولعل الشاعر قد اختار هيئة: العظم المهيض هذا كمقابل للبعاد الذي أجبره على الاستسلام للنائبات؛ لتغير حال كل منهما من القوة إلى الضعف، فالشاعر فقد السند والمعين وهو الملك–مصدر القوة لديه– والعظم انفصم عراه، وقد كان التحامه أساس القوة التي كان يعتمد عليها، والجامع بينهما هو الضعف والانكسار في كل.

د– الاستعارة المكنية[2]: لعل أبرز ما يتميز به هذا النوع من التصوير هو تشخيص المعنويات، وخلع الصفات البشرية على غير الإنسان، وكذا تجسيد المعنوي في صورة حسية مُدركة بالحواس، يزيد بها المعنى كثافة،

(١) الديوان ، ص١٩١..

(٢) هي تشبيه " حذف منه المشبه به أو المستعار منه، ورمز له بشيء من لوازمه"ينظر: علم البيان، عبدالعزيز عتيق،ص١٧٦،دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت– لبنان،د.ط،١٩٨٢م.

ويتقوى الإيحاء، حيث نرى المُجردات وقد صارت ذوات شاخصة نابضة بالحياة، ، ونماذجها كثيرة في شعر(الطغرائي) ما في قوله[١]: [من الكامل]

فسألتُ صبري أن يكلِّفَ مدمعي ألا يكونَ لما كتمتُ مذيعًا

فأبى المدامعُ أنْ تشفَّعَ سلوةً وأبى التصبُّرُ أنْ يكونَ شقيعًا

فقد شبه الشاعر (الصبر و المدمع) بإنسان يتحدث معه، وحذف المشبه به وأتى بصفة من صفاته هي (سألت – يكلِّف – أبى)، والاستعارة هنا مكنية غرضها التشخيص، حيث شخص الشاعر (الصبر) في صورة إنسان يسأله ويحاوره، راجيًا منه أن يأمر مدامعه أن تكفَّ عن البكاء، حتى لا يُفتضح أمره فيبدو ضعيفًا أمام الناس، فامتنعا عن ذلك، وهو بهذا ينقل المعنى من اللا معقول وهو (صبري – مدمعي) إلى المعقول وهو (الإنسان) الذى يدرك، فيقبل أو يرفض ما يشاء، وقد أدت هذه الاستعارة إلى إيضاح المعنى وتقريبه في ذهن المتلقي.

هـ- **الاستعارة التصريحية:** تمتاز –هذه الاستعارة– بالإصابة المباشرة للمعنى في إيجاز شديد، ووضوح تام، وتبدو فيها انفعالات الشاعر دون لبس أو خفاء، ويعتمد فيها الشاعر على استبدال اللفظ أو استعارة لفظ لآخر، وهي في الأصل تشبيه حذف منه المشبه، ومن نماذجها عند (الطغرائي) قوله[٢]: [من الطويل]

هلالٌ ثَوى من قبلِ أن تمَّ نورُهُ وغصن ذوى فينانُهُ وهو مورِقُ

حيث استعار لفظ "هلال" لزوجته التي رحلت عنه في سن مبكرة، كما استعار لفظ (الغصن) لها أيضًا، وحذف المستعار له هنا كان على سبيل الاستعارة التصريحية، والعلاقة هي المشابهة في الخفاء بعد الظهور في (هلال ثوى)، والذبول بعد النضارة والبهجة في (غصن ذوى)، إبرازًا لقسوة الموت، وفداحة الخطب، والقرينة مفهومة من السياق، فالشاعر يبكى زوجته التي فارقته

(١) الديوان، ص٢٥١.

(٢) الديوان ، ص٢٦٤.

بعد مدة يسيرة من زواجه منها، كما أن تأطير الاستعارة بمراعات النظير–بين شطري البيت– قد أعطى جرسًا موسيقيًا آخذًا، ناسب عاطفة الحزن التي تفيض بها كلمات الشاعر.

وقال في رثاء الملك[١]: [من الكامل التام]

من ذا رأى البدرَ المنيرَ وقد هوى في الترب والطودَ الرفيعَ وقد نُعِي

فقد استعار لفظ (البدر) للملك، على سبيل الاستعارة التصريحية؛ ليعطي معنى المبالغة، والعلاقة هنا المُشابهة، والقرينة تُفهم من السياق، فليس المقصود تشبيه الملك بنور البدر في الحسن والجمال فحسب، بل يتعدى المعني إلى تدفق الخير على يد الملك، وتحقيق العدالة، ومنع الظلم والجور، وبذلك يكتمل النور، وغرض الاستعارة إبراز مكانة المرثي، واستحقاقه انسكاب الدموع لفقده، وقد أعطى الاستفهام معنى الجزع الذي قصده الشاعر بصورة غير مباشرة.

و– **الكناية**[٢]: تكمن جمالية الكناية في الكثافة التعبيرية، والإيجاز، مع ما تفتحه أمام المتلقي من آفاق اجتلاء المعاني، والوقوف عليها، وهي تعد بذلك من وسائل الإيحاء القوية في فن الشعر، ومن أمثلتها: قوله[٣]: [من المنسرح]

أبيتُ أرعى النجومَ مرتفقًا وهي لآلٍ في لُجَّة بَدَدُ

حيث (أرعى النجوم) كناية مُشتهرة عن: السهر، فالكناية هنا عن صفة، ولا شك أن استعمال الشاعر للكناية كان أوجز وأكثر تأثيرًا، وإيحاء مما لو استخدم غيرها من الصور.

(١) السابق، ص٢٣٦.

(٢)"لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى، أي المعنى الحقيقي للفظ الكناية". علم البيان ،عبدالعزيز عتيق، ص٢١١.

(٣)الديوان، ص١٤٤.

وهناك كناية أخرى في قوله[١]: [من البسيط]

نَـاءٍ عن الأهلِ صِفْرُ الكفِّ منفردٌ كالسيفِ عُرِّىَ متناهُ من الخَلَلِ

ففي (صفر الكف) كناية أخرى عن صفة هي الفقر والحاجة، فهو يصف نفسه في وحدته وصفًا حسيا دقيقًا، وهذه الكنايات شائعة مأخوذة من البيئة العربية القديمة، وتتضح فيها سمة الدقة والإيحاء عند الطغرائي.

٢- **الصورة الكلية:** هذا النمط من الصور يحتاج من الشاعر إلى دربة، ومهارة فنية عالية في نسج الصور المُتجاورة، التي تحمل دلالات: اللون، والصوت، والحركة، والرائحة، وصولا إلى " وصف كلي، يتناول فيه أبعاد الشيء الموصوف بألوانه وحركاته وأشكاله"[٢]، ومن نماذج هذا النوع من الصورة في شعر الصبر والجزع عند الطغرائي قوله في تصوير مشهد احتراق الشمعة، وكأنه وصف لذاته[٣]: [من البسيط]

شَبَّهتْ بيَ طُولَ الليلِ ناحِلَةٌ صفراءُ أفنَى قُواهَا الدمعُ والأرقُ

لها من النارِ روحٌ فوقَ مَفْرِقِها تَدِبُّ فيها ولا يبقى لها رَمَقُ

تكابدُ الليلَ تُفنِيهِ ويأكُلُها والليلُ يضحكُ إذْ تبكِي وتحتَرِقُ

فقلتُ: ما أنتِ مثلي أنتِ في دَعَةٍ طولَ النهارِ ويومي كلُّهُ قَلَقُ

نرى صورة متكاملة يرسم الشاعر خطوطها بيتا بعد آخر، حيث نرى اللون في "صفراء"، والحركة "تدب، تكابد، تفنيه، قلق"، والصوت "يضحك، تبكي، تحترق"، والطعم "يأكلها"، إلى أن تمتزج الخطوط جميعا؛ لتكون مشهداً خياليًا يضج بالحركة والحياة، تكاد العين أن تبصره، ولا شك أن هذه الصفات التي خلعها على الشمعة هي بالأساس صورة مصغرة لما يعانيه ويشعر به؛ حيث إن تشخيص هذه الجمادات من حوله ينبئ عن اعتزاله الناس وعزوفه

(١) السابق، ص٣٠٢.

(٢) الصورة الفنية في شعر الطائيّين بين الانفعال والحس، د. وحيد صبحي كبَّابَه، اتحاد الكتاب العرب-سورية،د.ط،١٩٩٩م، ص٢٦ (بتصرف)

(٣) الديوان ، ص ٢٦٢-٢٦٣.

عنهم، ومن ثَمَّ لجأ إلى الطبيعة يشكوها همه، ويندبها حاله وما ألَمَّ به من صبر أو جزع.

ثانيًا: وسائل تشكيل الصورة: لابد للشاعر من وسائل وتقنيات وأدوات يستخدمها في صنع البناء الفني، حيث "إن دفع العقل لإدراك دخيلة الإنسان هو الهدف الأكبر للشاعر، ولكن الصياغة هي التي تحقق النتيجة"(١)؛ لذا فإن الصورة التي نراها عند أي الشاعر؛ ناتجة من علاقة تفاعلية بين أفكاره ووجدانه وثقافته، وفيما يلي أهم تلك الوسائل عند الطغرائي:

١-**التشخيص:** يعد من أهم وسائل تكوين الصورة الشعرية؛ لأن الشاعر حين يستخدم التشخيص كوسيلة من وسائل تكوين الصورة "لا يكتفي باستعارة الصفات الإنسانية من مجالها، ولكنه يعمد إلى استحضار النموذج الإنساني برمته"(٢)، وقد كان الطغرائي ذا حسٍّ مرهف يتعامل به مع الموجودات؛ فيأنس بها بعيدًا عن البشر، ويصنع لها بيئة خاصة من وجدانه، كما ظهر ذلك من مخاطبته للنسيم، الذي جعله يبلّغ سلامه لمحبوبته، وذلك في قوله(٣): [من البسيط]

ويا نسيمًا عليلًا زارني سَحَرًا هيَّجتَ ما بيَ لا اهتاجتْ بك العِلَلُ
روَّحْتَ جمرَ حشىً لم يبقَ منهُ سِوى شرارةٍ فهو مذ روحتها شُعَلُ

ففي مخاطبة النسيم تجاهل تامٌّ لطبيعته، وخلقٌ لطبيعة أخرى تتجاوب مع طبيعة البشر فتتأثر بها وتؤثر فيها، وقد ازداد الطغرائي جنوحًا إلى الخيال حين زعم أن النسيم حرّك مواجعه، فجعله في غمرات الشجن يتقلب.

(١) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، إليزابيث درو، ترجمة : د. محمد إبراهيم الشوش، منشورات مكتبة منيمنه – بيروت، ص٢٤.
(٢) أغراض من الشعر العباسي بين الرؤية والتشكيل الصوري، د/صبري أبو جازية ٩٧/١.
(٣) الديوان، ص٣١٦.

٢- **التجسيد:** يعمل التجسيد على إبراز المعنويات في صورة المحسوسات؛ ليكون إدراكها في النفس البشرية أوضح وأسهل، ومنه قول الطغرائي[١]: [من الطويل]

و يا نارَ قلبي ما لجمرِكَ كُلَّمَا نضحتُ عليه الماءَ لا يتبوَّخُ

حيث ينادي حرارة الألم التي غُصَّ بها قلبه، وهي شيء معنوي شبهه بالنار التي لا يخبو جمرها كلما سكب عليه الماء، وقد أبرزت الصورة المعنوي- وهو الألم- في صورة الحسي -وهو الجمر- للكشف عن شدة جزعه وحُرقة وجده.

٣- **تراسل الحواس:** تكتسب الصورة تأثيرا أكبر إذا استرعت أكثر من حاسة، فجمعت بين البصر والسمع والذوق، ويكتسب التأثير بعدا آخر إذا نقلت مدركات الحواس، فأصبح المسموع مرئيا، أو مُتذوقا، فهذا من شأنه أن يلفت المتلقي، بما فيه من طرافة، وبديع تصرف، وعلى الشاعر ان يراعى التناسب، وأن يضبط معياره؛ لأن مقصود الشاعر هو" نقل مدركات حاسة من الحواس إلى مدركات حاسة أخرى، لمداعبة خيال المتلقي وتحفيزه لسبر أغوار الصورة "[٢]، وليس تضليله، وإيقاعه في الغموض والارتباك، وعلى الرغم من كلاسيكية شعر (الطغرائي) إلاّ أننا نجد تراسلاً للحواس لديه، بما يؤشر على أن هذه التقنية ليست مستحدثة، وأنها تقع من الشاعر فطرة، ومن أمثلتها عند الطغرائي قوله[٣]:[من المجتث]

لا لـــــذةٌ فـــــي سَـــــمَاعٍ ولا هـــــوىً فـــــي شـــــرابِ

فهو ينقل اللذة وهي من: مدركات التذوق إلى السمع، وينقل الهوى وهو من : مدركات حاسة السمع، إلى التذوق، فيجعل له طعما، وهو نقل مقبول،

(١) السابق، ص١١٦.

(٢) مقال بعنوان "تراسل الحواس في شعر الشيخ أحمد الوائلي"،م.م كاظم عبد الله عبد النبي عنوز، مجلة مركز دراسات الكوفة،العدد٦،٢٠٠٧ م، ص١٦٧(بتصرف يسير).

(٣) الديوان ، ص٨٣.

تنتقل به اللذة المعنوية إلى لذة حسية، ويخدم غرض الشاعر في ما قصد إليه من معنى المبالغة في عدم الشعور بطعم الحياة لما أصابه من جزع.

عرضت خلال هذا المبحث (الصورة في شعر الصبر والجزع عند الطغرائي)، وقد تنوعت بين: صور جزئية ذات طابع بلاغي تقليدي وتتمثل في: التشبيه والاستعارة والكناية، وصورة أخرى كلية وصل بها الشاعر إلى درجة الإتقان، ثم وسائل تشكيل الصورة كأداة من أدوات تشكيل الصورة من وتشخيص، وتجسيد، وتراسل حواس، وتبين من خلال ذلك كله، عناية الشاعر بالصورة كوسيلة فنية أساسية لنقل العواطف والأفكار، وإضفاء الجمالية، واستثارة حواس المتلقي وتنمية ذوقه، وهو ما تمكن الطغرائي من تحقيقه معتمدا على فطرته السليمة، وذوقه الرفيع.

المبحث الرابع: الموسيقى الشعرية

لا شك أن هناك علاقة وطيدة بين الموسيقى والشعر،"فالشعر في صياغته الفنية يتكون من عدة تفعيلات تمثل وحدات موسيقية تكسب القصيدة نغما آسرا ومؤثرا، وحين تفقد القصيدة سحر هذا النغم، ينقطع ذلك الخيط الفني الدقيق الذي يشد المتلقي"(١)؛ لذا أدرك الشعراء ضرورة تخير الألحان الموسيقية المناسبة، وتأثيرها في النفس بين مبالغة وزيادة في النظم، أو تكثيف باللفظ لأن الصوت هو أول ما يصادف السامع والمتلقي .

وموسيقى الشعر بنوعيها، الخارجية والداخلية من أهم الوسائل التي أفاد منها الشاعر الطغرائي لتجسيد الإحساس الذي تملكه في حالة صبره أو الانفعال حين جزعه بأساليب موسيقية تكشف عن دور الحروف والألفاظ في تجسيد أفكاره وإحساسه؛ وسنتناول دراسة الموسيقى الشعرية في محورين:

أولاً: الموسيقى الخارجية: تعتبر الموسيقى "عنصرًا أساسيًّا من أهم خصائص الشعر؛ كما أن الوزن والقافية: خاصتان من أهم خصائص الشعر

(١) موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور :د.صابر عبد الدايم مكتبة الخانجي مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م ، ص١٦.

ليتميز بهما عن النثر الفني" [١]، وقد التزم شاعرنا (الطغرائي) بالشكل التقليدي للقصيدة العربية، فجاءت قصائده موقعة بأنغام الخليل وأوزانه، موشحة بالقوافي المتواترة والمتنوعة، وهو ما سأفصله فيما يلى:

١- **الأوزان:** الإيقاع النّغمي في الشعر يقوم على "عدد من التفعيلات يتكرر في كل بيت من أبيات القصيدة بنسبة واحدة، وتختلف هذه التفعيلات من حيث النوع والعدد، حسب البحر الذي ينظم منه الشاعر ... فللقصيدة وزن يتشكل في إطاره البيت الشعرى، سواء أكان تاما، أم مجزوءًا"[٢]. ولما كانت الموضوعات التي تضمنت شعر الصبر والجزع تتسم بالانفعال الشديد، والتوتر النفسي العميق؛ فقد لجأ الطغرائي إلى البحور الشعرية التي تستوعب انفعالاته، ساعيًا بذلك إلى الإيفاء بمتطلبات التعبير عن الموضوع، والفكرة التي يريد التأكيد عليها مما اضطره إلى البحور كثيرة المقاطع كـ: (والكامل، والوافر، والبسيط، الطويل، والسريع، والخفيف، والمنسرح)، بسبب ملاءمتها لحالته المتوترة، وقدرتها على استيعاب الأفكار الكثيرة، والعواطف الجياشة؛ إذ يستطيع الشاعر من خلال تلك البحور التصرف بحرية ويسر، وإفراغ عواطفه، وفيما يأتي عرض لأهم البحور التي نظم عليها قصائده في الصبر والجزع:

- **بحر الكامل:** يتميز بحر الكامل بـ" لون خاص من الموسيقى يجعله إن أُريد به الجد فخما جليلا مع عنصر ترنمي ظاهر، ويجعله أن أُريد به الغزل، وما بمجراه من أبواب اللين والرقة حلوا مع صلصلة كصلصلة الأجراس ، ونوع من الأبهة يمنعه أن يكون خفيفا شهوانيا" [٣]، ومن ذلك قول الطغرائي[٤]: [من مجزوء الكامل المذيّل[١]]

(١) قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، دار العلم للملايين-بيروت- لبنان، ط:٥، ١٩٧٨م، ص ٣٤٩ (بتصرف).

(٢)موسيقى الشعر العربى (دراسة فنية وعروضية)،د.حسنى عبدالجليل يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب،د.ط،١٩٨٩م،ج١ – ص ٩.

(٣)المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، (د- ط)، (د – ت)، ٢٤٦/ ١.

(٤) الديوان، ص٣١٣.

يـــا مَـــنْ زِمـــامُ القلـــبِ طَـــو عُ قيـــــادهِ أنَّـــــى يميـــــلْ
حاشـــــا لعهـــــدكِ أنْ يُقـــــا لَ لـــــه ضـــــعيفٌ أو عليـــــلْ
مـــــالي بـــــديل مـــــنكمُ أفعنـــــدكمْ منـــــي بـــــديلْ
إنْ كـــــان دأبُكـــــمُ الجَفـــــا ءُ فـــــدأبيَ الصـــــبرُ الجميـــــلْ

وقد جاء التذييل هنا ليخدم المعنى، حيث تشعرنا السكنة الزائدة في الضرب بحالة الصبر وعدم الجفاء التي تعترى الشاعر، وهو بذلك استطاع "أن يكيف البحر الذي ينظم عليه بما يتناسب مع غرضه ومعانيه"(٢).

وقد استوعب الشاعر موسيقى هذا البحر في شكليه: التام والمجزوء، مع تنويعه للأضرب بما "أعطى للشاعر حرية الحركة داخل البحر الواحد من خلال الزحافات والعلل التي لها تأثير كبير على صفات البحر وميزاته، بحيث تستطيع أن تنقله من حال إلى حال" (٣).

- **بحر الوافر:** من مزايا الوافر التام أنه "يميل إلى التدفق السريع ،ويمتاز باستثارة المتلقي، وهو يتقبل شحناته الخطابية، ويصلح لكل أمر من شأنه استثارة السامع أو كسبه أو إغراقه في الحزن حتى الفجيعة" (٤)، تلك الفجيعة التي نستشعرها في قوله(٥): [من بحر الوافر التام]

بنفســـيَ أنـــتِ ظاعنـــةً تولَّـــتْ وخلَّـــت فـــي الحشـــا وجـــدًا مُقِيمـــا

=

(١) "التذييل علة: وهى زيادة حرف ساكن على آخر التفعيلة." موسيقى الشعر العربى قديمه وحديثه، دراسة وتطبيق فى شعر الشطرين والشعر الحر، د.عبدالرضا على، دار الشروق–عمان – الأردن، ط:١، ١٩٩٧م، ص ٤١.

(٢) إيقاع الشعر العربى: من الدائرة إلى الحرف، د.أحمد فوزى الهيب، دار القلم العربى–دار الرفاعى –سوريا–حلب، ط:١، ٢٠٠٤م، ص ١٣٩.

(٣) السابق، ص ١٣٩ (بتصرف يسير).

(٤)موسيقى الشعر العربى قديمه وحديثه، دراسة وتطبيق في شعر الشطرين والشعر الحر، د. عبدالرضا على، ص ١١٢.

(٥) الديوان، ص٣٤٦.

بَنَيْتُ بها فما استكملتُ عُرْسِي إلى أن قيلَ: مأتمُها أُقِيما
يعزُّ عليَّ أنْ آنستِ قبرًا حللتِ به وأوحشتِ الحريما
فيا لَكَ منزلاً قد عادَ قَفْرًا ويا لكِ جنَّةً صارت جحيما
وكنتُ إذا اعترانِي الهمُّ آوي إلى بيتي فيُنْسِيني الهُموما
فصِرتُ إذا أوَيتُ على نشاطٍ إليهِ هاجَ لي وجدًا قديما

فهذه مقطوعة تفيض بالأسى والجزع يرثى فيها الشاعر زوجته اقتصرت على الرثاء الخالص، وصوّرت الحزن لوفاتها، والبكاء عليها، وتجاوب فيها البحر بنغماته المتدفقة مع العاطفة الجياشة.

- **بحر البسيط:** البسيط "بحر راقص يتصف بنغماته العالية، وبتغيُّر حركي موجى ارتفاعا وانخفاضا، حتى أنّ إيقاعه يتعلمه بيسر كل من لم يألف العروض" [١]، ومن نماذجه في شعر الصبر عند الطغرائي قوله[٢]: [من البسيط التام]

بالرِفقِ أبلُغُ ما أهواهُ من أَرَبٍ وصاحبُ الخُرْقِ محمولٌ على خَطَر
والسمُّ يبلغ في رِفْقٍ مكيدَتهُ ما ليس يبلغُ كيدَا الصابِ والصَّبرِ
والحِقْدُ كالنارِ في الزندينِ إنْ تُرِكا تكمُنْ وإن أغرِيا بالقَدْحِ تَسْتَعِرِ

حيث ناسبت موسيقى البحر في تقوية الغرض، وصبغت موقف الشاعر بالحلم والصبر، كما أسهمت موسيقى البحر وتماوجاتها فيما استشعرناه من فخامة وجلال في الأبيات، فضلا عن تجاوبها مع عاطفة الشاعر الجياشة.

(١) موسيقى الشعر العربى قديمه وحديثه، دراسة وتطبيق في شعر الشطرين والشعر الحر،د. عبدالرضا على، ص ١٢١.
(٢) الديوان، ص١٥٧.

- **بحر الطويل:** وقد وفق الشاعر في اختياره لبحر الطويل لما فيه من الجلال النغمي الذي يناسب حالة الحزن التي تنتاب الشاعر، حيث يقول الطغرائي[١]:

أروحُ وقلبي بالهموم معذَّبٌ وأغدو وعيني بالدموع سَفُوحُ
فلا الموت أهوى قبلَ لُقيا أحبَّتِي ولا العيشُ لي قبل اللقاءِ مُريحُ
سَقامٌ ووجدٌ واشتياقٌ وغُرْبَةٌ وقلبٌ بأنواعِ الهُمومِ جريحُ

فالقصيدة مشحونة بنغم شجى، تكاد تنضح بعبرات اليأس، وتنم عن جو نفسي معتكر يعانيه الشاعر، حيث استوعب الموقف كيانه كله، فصاغ هذه البكائية الحارة، وجاء بها على الطويل المحذوف[٢] الضرب لينقل إلينا هذا الإحساس بالانكسار لديه، حيث نطقت الموسيقى بلسان الغرض.

- **بحر السريع:** وهو من البحور السريعة على اللسان، ومن صفاته أنه قريب" من النثر لولا انتظام وزنه، الأمر الذي يجعله شبيهًا بالأسجاع"[٣]، ومن نماذجه عند الطغرائي قوله[٤]:

قد مرَّ للرُزْءِ الذي حلَّ بي حولٌ ووجدي ثابتٌ لا يريمْ
وكلَّما قلتُ: عفا كَلْمُه عاودني منه عِداد السليمْ
يزيدُهُ طولُ البِلى جِدةً وأَقتلُ الأدواءِ داءٌ قديمْ

فهذه الأبيات تشعرنا أننا أمام شاعر وقف على أسرار البحور الشعرية، وسبر أغوارها، فواكب غرضه نغمه، حيث إن إيقاع القصيدة أشبه بخطوات ثقيلة يجرها الشاعر على أرض واقع نفسي مرير يحاول تغييره ولكنه

(١) السابق، ص١١٤.

(٢) وهو "ما كانت عروضه مقبوضة"مفاعلن"،وضربه محذوفا "مفاعى" وتحوّل إلى "فعولن"، موسيقى الشعر العربى قديمه وحديثه، دراسة وتطبيق في شعر الشطرين والشعر الحر، د. عبد الرضا على، ص ١٢٩.

(٣) إيقاع الشعر العربي: من الدائرة إلى الحرف، د. أحمد فوزى الهيب، ص ١٣٣.

(٤) الديوان، ص٣٤٦.

لا يستطيع، وكأن في حلقه غصة ألم، مع سرعة توحي بالتفلت، وهما ميزتان يجتمعان في بحر السريع دون غيره، ففيه القرب من النثرية–كما ذكرت– مع إسراع اللسان به، وقد استغل الشاعر الميزتين بعبقريته؛ للإيفاء بغرضه، ونقل مشاعره من خلال الإيقاع.

- **بحر الخفيف:** وهو بحر واضح النغم والتفعيلات، ويجنح صوب الفخامة، ويلائم الرثاء والوصف خاصة، ومنه قول شاعرنا(١):

وتولَّـــت بحســـرة اليـــأس تُخفـــي زفـــراتٍ أَبَـــيْنَ إلا صـــعودا
زوْرةٌ مـــا شـــفتْ غلـــيلاً ولكـــن علَّمـــت جمـــرةَ الفـــؤاد وقـــودا

فقد أضفت موسيقية هذا البحر نغمًا موسيقًا حزينًا لائم حالة اليأس التي استغرق فيها الشاعر، وخلعها على الموصوف.

- **بحر المنسرح:** سمي بهذا الاسم "لانسراحه وسهولته"(٢)، وهو بحر "يمتاز بالليونة والرقة" (٣)، ويتناسب مع حالة الشجن والانفعال العاطفي، ومنه قول الطغرائي(٤):

قـــد قالـــتِ الـــريحْ إذْ رأتْ سَـــقَمي بـــاللهِ مـــا تحـــت ثوبِـــه جَسَـــدُ
وقالـــــتِ النـــــارُ إذْ رأتْ كَبِـــــدِي تَـــذوبُ عنـــي إليـــك يـــا كَبِـــدُ
رقَّـــتْ لِـــيَ النـــارُ والنســـيمُ ولا يَـــرِقُّ لـــي مَـــنْ إليـــه أســـتنِدُ

حيث نلاحظ أنه أدخل زحاف الطي في العروض والضرب ليحدث تموجا في موسيقى البحر، إسراعا بالإيقاع وشدا لمفاصله، وبما يوحي أيضا بضغطة شعورية، تدعو إلى الشفقة والترفق به؛ لما آل إليه حالة من ضعف وذبول، وقد عكس تشخيص الشاعر للماديات في الطبيعة أثرًا تصويريًّا يأخذا

(١) السابق، ص١٤٢.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبن رشيق القيرواني، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد ،دار الجيل بيروت الطبعة الرابعة، ١٩٧٢م، ١/ ١٣٦.

(٣)عود على بدء دراسة في إيقاع الشعر، شفيق عبد الرازق أبو سعدة ،ط٣، (د–ت)، ، ص١٨٦.

(٤) الديوان، ص١٤٤.

الألباب، وينسجم مع موسيقى البحر وأنغامه الشجية التي عزفت على أوتار القلوب.

- **بحر المجتث:** من البحور الفقيرة النغم، القريبة من النثرية، ولم ينظم عليه الطغرائي إلا قصيدة واحدة من بكائياته منها قوله[١]:

أفْنَـــــى الليـــــالي شَـــــبَابِي وغَـــــادرتْنِي لِمَـــــا بِـــــي
وخلَّفتْنـــــــــي وحيْـــــــــداً وأســـــرعتْ فـــــي صـــــحابِي
ومسَّـــــــني مـــــن أذاهَـــــا مـــا لـــم يكـــنْ فـــي حســـابِي

فإن حسن توقيع الكلمات، وأريحية أسلوب الطغرائي جعلت هذا البحر القفر، بحرًا نغميا، مع بعض العناية بجرس الألفاظ، والموسيقى الداخلية، وكل هذا يشي بقدرة فذة.

وهذا إحصاء بالأوزان العروضية التي نظم عليها "الطغرائي" شعره في الصبر والجزع، وعدد المرات التي جاءت على كل بحر:

م	البحر	عدد مرَّات الورود
١	الطويل	٢٦
٢	الكامل	١٨
٣	البسيط	١٧
٤	الوافر	٨
٥	المنسرح	٤
٦	السريع	٣
٧	الخفيف	٢
٨	المجتث	١
المجموع	٨ بحور	(٧٩) نصًا

(١) السابق، ص٨٢.

٢- **القوافي:** القافية هي "الحروف التي تبدأ بمتحرك قبل أول ساكنين في آخر البيت الشعري، وتكون القافية كلمة واحدة أو بعض كلمة"[١] وقيل أيضا أنّها "عدة أصوات تتكون في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، وتكررها هذا يُكوِّن جزءا هاما من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية التي يتوقع السامع ترددها، ويستمتع بهذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة" [٢].

والحروف التي تتكون منها القافية هي: الرّوى[٣]، الوصل[٤]، الخروج[٥]، الرّدف[٦]، التأسيس[٧].

- **وبالنظر في قوافي شعر الصبر والجزع عند الطغرائي تبين أنها جاءت موحدة ليس فيها تنوع، وهي سمة عامة في شعره كله،** ومن ذلك قوله[٨]:

[من الكامل التام]

من أين أطمعُ في السلامة بعدَما أيسَ الطبيبُ وقال هل من راقِي؟
أم كيف آنسُ بالصِحَاب وقد رأتْ عينايَ منهم قلَّة الإشفاقِ؟
ما كنت أحسَبُ أن حظِّيَ منهمُ ضجرُ الملول وخُدعةُ المُذَّاقِ
أُغرقت في نزعي فأخفقَ مطلبي وحُرِمتُ والحِرمانُ في الإغراقِ

(١) أهدى السبيل إلى علمي الخليل: العروض والقافية، محمود مصطفى، ت: عمر فاروق الطباع ، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت– لبنان ، د. ط، ٢٠٠٥م، ص١٤١ .

(٢) موسيقى الشعر: د.إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو مصر الطبعة السادسة، ١٩٨٨م، ص ٢٤٤.

(٣)"آخر حرف صحيح في البيت وعليه تبني القصيدة وإليه تنتسب" ينظر: السابق، ص ١٣٦.

(٤) "ويكون بإشباع حركة الروي فيتولد من هذا الإشباع حرف مد، أو يكون بهاء بعد الروي." علم العروض والقافية، ص ١٣٦.

(٥) " بفتح الخاء ويكون بإشباع هاء الوصل".ينظر المرجع السابق نفسه.

(٦) " ويكون حرف مد قبل الروي مباشرة أو حرف لين." علم العروض والقافية، ص ١٣٦.

(٧) " وهو حرف مد بينه وبين الروي حرف صحيح."السابق نفسه.

(٨) الديوان، ص٢٥٩.

وتتألف قافية الأبيات من الرّوى وهو: القاف، والرّدف وهو (ألف المد) والوصل وهو (الياء) الناشئة من إشباع كسر الرّوى، وتتكرر في كل بيت من أبيات القصيدة حتى آخرها.

- **وأما عن القوافي من حيث حركة الرّوى فإنها تنقسم إلى: مُطلقة [(١)]، ومُقيّدة[(٢)].**

أ- القوافي المطلقة (متحركة الرّوى):

وهى أغلب قوافيه، وتنقسم إلى الأقسام التالية حسب نسبة ورودها:

- **ماكانت القافية المطلقة فيه مردوفة موصولة بحرف مد:**

ومن أمثلتها قوله[(٣)]: [من بحر الطويل]

وهل عندكمُ صبرٌ جميلٌ فتعمروا فؤاداً من الصبرِ الجميلِ خرابَا؟

حيث الروى(الباء) والردف(ألف المد) والوصل(ألف المد).

- **ما كانت القافية المطلقة فيه مجردة من الردف والتأسيس موصولة بالمد:**

ومن أمثلتها قوله[(٤)]: [من بحر الطويل]

فقدْ راعني أن المشيبَ مسلِّمٌ كما رابني أن الشبابَ مُودِعُ

فالرّوى (العين) والوصل (الواو) الناشئة من إشباع ضمة الرّوى.

ما كانت القافية المطلقة فيه مؤسسة موصولة بالهاء:

ومن أمثلتها: قوله[(٥)]: [من الطويل]

أقولُ وصرفُ الدهرِ يحرِقُ نابَهُ عليَّ ويستولي عليَّ فواقْرُهْ

وقد صَرَدتْ في جانبيَّ نِبالُهُ وأولعَ بي أنيابُه وأظافِرُهْ

(١) "القافية المقيدة هي ما كانت ساكنة الروي"، علم العروض والقافية، ص ١٦٤.

(٢) " القافية المطلقة هي ما كانت متحركة الروي، أي بعد رويها وصل بإشباع "، السابق،١٦٥.

(٣) الديوان، ص٦٨.

(٤) السابق، ص٢١٨.

(٥) السابق، ص١٩١.

- ماكانت القافية المطلقة فيه مردوفة موصولة بالهاء:

ومن أمثلتها: قوله [١]: [من بحر الطويل]

خبَتْ نارُ نفسي باشتعالِ مفارقي وأظلمَ عُمري إذ أضاءَ شِهابُها

فالروي (الباء)، والردف(الألف)، والوصل (الهاء)، والخروج ألف المد الناشئة من إشباع حركة هاء الوصل.

- ما كانت القافية المطلقة فيه مردوفة موصولة بالهاء المتحركة:

ومن أمثلتها: قوله[٢]: [من بحر الكامل التام].

أمعذبٌ والنارُ في عذباتِهِ كمعذبٍ والنارُ في أحشائِهِ؟

فالروى (الهمزة)، والهاء (وصل)، والياء الناشئة من إشباع حركة الوصل خَروج.

ماكانت القافية المطلقة فيه مردوفة موصولة بكاف الخطاب:

ومن أمثلتها: قوله[٣]: [من الوافر التام].

أخي مَا دهاكَ وما أصابكْ دعوتُك ثمَّ لمْ أسْمع جوابكْ

فالروي(الباء)، والردف(ألف المد)، والوصل (كاف الخطاب).

ب-القوافي المُقيّدة:

وهى قليلة في ديوانه عامة، ولم أعثر لها إلا على نموذجين اثنين فقط في شعر الصبر والجزع لديه، وقد جاءت القافية فيهما مقيدة مردوفة بالمد، في قوله[٤]: [من السريع]

قد مرَّ للرُزْءِ الذي حلّ بي حولٌ ووجدي ثابتٌ لا يريمْ

وقوله[٥]: [من الكامل المجزوء]

إنْ كانَ دأبُكمُ الجفا ء فَدَأبي الصبر الجميلْ

---

(١) السابق ، ص١٠١.

(٢)الديوان، ص٤٣.

(٣) السابق، ص١٠١.

(٤) السابق، ص٣٤٦.

(٥) السابق، ص٣١٣.

وبعد توضيح مفهوم القافية، ودورها، وأهم أنواعها في شعر الصبر والجزع عند "الطغرائي"، أورد إحصاء بحروف الروى التي نظم عليها قصائده الموحّدة القافية، وعدد النصوص التي جاءت قافيتها على كل حرف.

م	حرف الرّوى	عدد النصوص
١	الميم	٢٢
٢	الراء	٢٠
٣	الباء	١٥
٤	اللام	١٤
٥	العين	١٢
٦	الدال	٥
٧	النون	٤
٨	الهمزة	٣
٩	الصاد	٣
١٠	القاف	٣
١١	التاء	٢
١٢	الحاء	٢
١٣	السين	٢
١٤	الغين	٢
١٥	الكاف	٢
١٦	الياء	٢
١٧	الجيم	١
١٨	الخاء	١
١٩	الظاء	١
٢٠	الهاء	١
٢١	الواو	١
المجموع	٢١رويًّا	١١٨نصًا

ثانيًا: الموسيقى الداخلية: الموسيقي الداخلية تنشأ من تكرار وحدة النغم "على نحو ما في الكلام أو في البيت، أي الحركات والسكنات على نحو منتظم"(١)، ويُقصد بها "هذه الموسيقى الداخلية الحرة، التي تُمايز بين قصيدتين من بحر واحد بل تمايز بين اجزاء القصيدة الواحدة وتتحقق: باختيار كلمات ذات بنية صوتية مرتبطة بالمعنى، والميل إلى تكرار صوت أو أكثر في بيت او أكثر للإيحاء بالمعنى وتصويره، وتقسيم بعض اجزاء البيت أو مصراعيه على نحو معين" (٢)، وقد اهتم (الطغرائي) بالموسيقى الداخلية، من منطلق وعيه بأهميتها في إضفاء الموسيقية على النّص، إضافة إلى ما تحمله من دلالات تؤدى بدورها إلى تماسك بنية القصيدة، فضلا على التنغيم الصوتي الذي اعتمده الشاعر في التعبير عن حالته النفسية والانفعالية التي يمر بها، فيصبر أو يجزع إزاءها.

ومن أبرز البنيات الصوتية التي ظهرت في شعر الصبر والجزع:

١-**التّصريع:** يعد التصريع من الظواهر الأسلوبية للموسيقى الداخلية التي وردت في شعر الصبر والجزع ، ويقصد به" ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه: تنقص بنقصه، وتزيد بزيادته"(٣)، وقد صرّع (الطغرائي) العديد من قصائده لإكسابها الموسيقية من ناحية، وحفاظا على الموروث من ناحية أخرى، وتكمن جمالية التصريع في أنه يجعل" الإيقاع الداخلي للبيت بطيئا، مما يسمح للقارئ أو السامع بوقفة قصيرة ليتذوقه ويستجلى

(١)النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال ، ص٤٦٨.

(٢)إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي أسلوبي، د.محمد العبد، مكتبة الآداب القاهرة الطبعة الأولى٢٠٠٧م، ص ٢٣-٢٤ .

(٣)"العمدة ،ابن رشيق القيروانى، تحقيق:محمد محيى الدين عبدالحميد، دار الجيل، ط ١٩٨١،٥ م، ص ١٧٣.

معناه"[١]، إضافة إلى ما يخلعه على المطلع من جاذبية ، ومن نماذج التصريع في شعر (الطغرائي) قوله [٢]: [من بحر الكامل التام]

نَظَري إلى لَمِعِ الوَمِيضِ حنينُ وتَنفُّسي لصبا الأصيلِ أنِيْنُ

ما كنتُ أعلمُ قبلَ نازلةِ الحمى أنَّ الحبائِلَ والسهامَ عيونُ

وقد أتى التصريع في هذا البيت من جهة تغير العروض لإلحاقه بالضرب، والقصيدة من بحر (الكامل)، حيث نجد أنّ العروض في البيت الأول قد تغيرت عن سائر القصيدة، إذ دخلها "القطع"[٣]حتى توافق الضرب، فيكون كلاهما مقطوعا، كما لحقت العروض الضرب من حيث حرف الروى "النون"، وحرف الوصل وهو "الواو"، لتوافق الضرب في حرف الوصل الناشئ من إشباع حركة الرّوى، كما لحقت العروض الضرب في الردف وهو "الياء"، وبذلك تتوافر شروط التصريع جميعا في البيت الأول، وقد أضاف هذا التصريع ، وحركة الروى بارتفاعها، دلالة قوية الصلة بالموضوع.

٢-**الجناس:** يعتمد هذا اللون من البديع على تكرار اللفظة مع اختلاف المعنى، مما يلفت نظر المتلقي، فيأنس، ويطرب لقدرة الشاعر على صنع هذه الج مالية، التي" تأتى نتيجة تماثل الألفاظ من ناحية التجانس الصوتي" [٤]، فهو من عناصر الموسيقى القابلة لحمل الدلالة، فلم تعد النظرة إليه منحصرة في الجمالية المحضة، فإن له أثرا ملحوظا " في جذب الأسماع، وتحقيق لذة الاستماع بنغمته العذبة لتصبح الكلمات ذات إشعاع موسيقي خاص، ومن ثم

(١)إبداع الدلالة في الشعر الجاهلى (مدخل لغوى أسلوبى)، ص ٣٠ .

(٢) الديوان، ص٣٧٦.

(٣) القطع: حذف ساكن الوتد المجموع وإسكان ما قبله ،فتصير:" مُتَفاعِلُن"،" مُتَفاعِلُ" علم العروض والقافية، ص ١٣٦.

(٤) اللون ودلالته الموضوعية والفنية في الشعر الأندلسى من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربى، د.على اسماعيل السامرائى،ط ١،دار غيداء للنشر-عمّان،٢٠١٣ م، ، ص ١٣٥

ذات تأثير في القلوب والعقول"[١]إضافة إلى دور الجناس في تكثيف المعنى، و(الطغرائي) كان من الشعراء المولعين بالتجنيس،

ويأتي هذا التجنيس في شعره عفوًا، دون تكلف، أو تصنع، ومن أمثلة الجناس التام[٢] لديه، قوله[٣]: [من الطويل]

فصبرا "معين المُلك" إن عنَّ حادثٌ فعاقبةُ الصبرِ الجميلِ جميلُ

حيث الجناس التام بين كلمة(الجميل) الأولى بمعنى: لا شكوى فيه لغير الله، وكلمة (جميل) الثانية بمعنى: الإحسان أو الفضل، وكلا اللفظين موح- مع حسن الجرس- بحلاوة تُستشعر من الشكل والخُلّة معا، فكان الجناس هنا طريقا لتوحيد الصورة والطبع من خلال التماثل الصوتي، وبذلك أضفى الشاعر ظلال الدلالة المعنوية على النغم الموسيقي حين عمد إلى معنى مغاير لما سبقه وإن حاكاه في الشكل.

ومن الجناس الناقص[٤]، قوله [٥]:[من الكامل التام]

لا تـأمُلُنَّ بنـي الزمـانِ فطالمَـا أكـدى وخـابَ الآمـلُ المتأمـلُ

حيث الجناس الناقص بين اللفظين "الآمل"، "المتأمل"، فيه لفت للقارئ وجاذبية للنص وامتداد للمعنى المراد؛ وهو مع فيه من موسيقية، يشير إلى جهة هامة من المعنى، وهي خيبة وخسارة الذي يتعلق قلبه بالدنيا، فجاء القول منسجما مع إحساس الشاعر بالجزع من الركون إلى الدنيا.

---

(١) البديع في ضوء أساليب القرآن، د. عبدالفتاح لاشين، دار المعارف-مصر ١٩٧٩م، ص:١٥٥(بتصرف).

(٢) وهو" اتحاد كلمة مع أخرى في اللفظ مع اختلاف المعنى" . البديع من المعاني والألفاظ، ص١٠٢، ١٠٣(بتصرف).

(٣) الديوان، ص٢٩٧.

(٤)"إن اختلف اللفظان في أعداد الحروف سمي الجناس ناقصا وذلك لنقصان أحد اللفظين عن الآخر" ينظر: علم البديع، عبدالعزيز عتيق، ص ٢٠٦.

(٥)الديوان، ص٣١٠.

٢- **التكرار الموسيقي:** كنا قد تحدثنا –سابقًا في مبحث الألفاظ– عن القيمة الدلالية للتكرار، وهنا نعاود الحديث عن القيمة الموسيقية للتكرار، حيث "تمثل الكلمة المكررة المركز الدلالي الذي ينطلق منه الشاعر، ويعود إليه خالقا في كل مرة علاقة لغوية جديدة، ويكون تكرار الكلمة ذا وظيفة جمالية "[١] تغمر النص بالموسيقية من خلال "عدة أصوات تنتمى إلى مجموعات صوتية مختلفة، محاكية الجو العام للنص، بما تتميز به من صفات صوتية كالجهر أو الهمس" [٢]، ومن أنماط هذا التكرار:

أ- **موسيقى الحرف:** حيث يكون للحرف المُكرر نغما صوتيا، ذا علاقة بالجو النفسي للنص، ولا يخفي أن لكل حرف مخرجه الخاص، وصفاته المُميِّزة، ومن أمثلته قوله[٣]: [من السريع]

لا تجــزعنْ إن فــاتَ مــا رمتــهُ واشْــدُدْ عُــرى عزمِــكَ بالصــبرِ

حيث تكرار حرف (العين) الموسيقى في كلمات (تجزعن، عرى، عزمك)، والعين صوت مجهور شديد مستفل رخو منفتح، يناسب حالة الجزع التي قد تصيب الإنسان عند حدوث المصائب.

وقوله[٤]: [من بحر الطويل]

ألــم تــرَ أنَّ الصــبرَ للشــكرِ تــوأمٌ وأنَّهمــا ذُخــرانِ للعُســرِ واليُســرِ

حيث تكرار حرف الراء في كلمات (تر، الصبر، للشكر، ذخران، للعسر، واليسر) بما يحمله صوت الراء من امتداد وتردد يناسب موقف الوعظ والإرشاد.

(١) الصورة الشعرية عند ابى القاسم الشّابى ،د. مدحت الجيار، دار المعارف–القاهرة، ط ٢ ،١٩٩٥م.(بتصرف) ، ص ٤٧ (بتصرف).

(٢)إبداع الدلالة في الشعر الجاهلى (مدخل لغوى أسلوبى) ،د. محمد العبد، ص ١٩ .

(٣) الديوان، ص١٦١.

(٤) السابق ، ص١٦١.

ب- موسيقى الكلمة : وهذا اللون من التكرار معروف نوه عنه ابن رشيق حين قال بأنه يحسن " في التغزل والنسيب، أو التنويه والإشادة، أو التعظيم، أو على جهة الوعيد، أو على وجه التوجع أو الاستغاثة"(١)، وما ذلك إلا لما يحققه التكرير من تكثيف ،ينقل الانفعال، ويوحي بحدته، وينقل أثره، وهو كثير في شعر الصبر والجزع عند الطغرائي، فمن ذلك قوله(٢):[من بحر الكامل]

أين الحصونُ الشامخاتُ فِناؤُها وَزَرُ الذليلِ وعُصْرةُ المتمنّعِ؟
أين الذخائرُ حُزْتَها لملِمَّة تُخْشَى بوادِرُها وخطبٍ مُضلِعِ؟
أين الأُغيلِمَة الخِفافُ إلى الوَغَى يَغْشَوْنَهُ من حاسرٍ ومنقَّعِ؟
أين السِماطُ تكرُّ في أطرافِهِ لحظاتُ مصحوبِ الفؤادِ مُشَيَّعِ؟
أين الحِجابُ إذا تقَرَّى أهطعتْ زُوَّارُهُ من ساجدينَ ورُكَّعِ؟

حيث يردد الشاعر كلمة "أين" وهي أداة الاستفهام توحي باضطراب الشاعر وحسرته، مما يضفي على النص موسيقية حزينة، تناسب جو الافتقاد وتعكس تلك الصدمة التي مُنى بها الشاعر بفراق الملك وهو ما "يغنى المعنى ويمنحه امتدادات من الظلال والألوان والإيحاءات" (٣).

ج- موسيقى الأسلوب: يُعد تكرار العبارة -في شعر الصبر والجزع عند الطغرائي- انعكاسا لحوادث الحياة، بمعنى أنه لم يأتِ إلا "لعظم الخطب، وشدة موقع الفجيعة"(٤)، ومن هنا كان التكرار في غرض الرثاء أكثر من غيره "لمكان الفجيعة وشدة القرحة التي يجدها المتفجع "(٥)؛ ولذا فإننا نجد في الجزع لفقد الأحبة تكرارا للجملة أو العبارة فضلا على تكرار اللفظة؛

(١)العمدة، ٧٤/٢(بتصرف).
(٢) الديوان،ص٢٤٣.
(٣)قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة ،ص ٢٨٠(بتصرف يسير).
(٤) كتاب الصناعتين، مكتبة والشعر، تصنيف، أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، ت: محمد علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧١هـ - ١٩٧٦، ص٢٠٠.
(٥) العمدة، ٧٦/٢.

ممّا يحمل النّص بشحنة موسيقية توحى بثقل الفترة وطولها "فالتكرار يضع في أيدينا مفتاحا للفكرة المُتسلطة على الشاعر، وهو بذلك أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر فيضيئها بحيث نطلع عليها، أو لنقل إنه جزء من الهندسة العاطفية للعبارة يحاول الشاعر فيه أن ينظم كلماته بحيث يقيم أساسا عاطفيا من نوع ما" (١)، كما أنّ العاطفة "هي موسيقى نفسية ذات حركات وترجيعات" (٢)، ومن هنا يحدث التكرار أثره الموسيقى النابع من الفكرة والعاطفة الذي نلمسه في قول الشاعر(٣):

[من بحر الكامل التام]

يا قبرُ أُفرِغَ فيك سَجْلٌ من نَدىً فالْبسْ لـه حُلَلَ الرِّياضِ وأمْرِعِ

يا قبرُ غاضَ البحرُ فيك فلا تدَعْ للنـاس حولـك غُلَّـةً لـم تُنْقَـعِ

يا قبرُ غاب البدرُ فيكَ فلا تكنْ مـن بعـدِه إلا مُنيـرَ المطلَـعِ

فبدلالة تكرار عبارة(يا قبر) حقق الشاعر الذروة العاطفية في التعبير عن الحسرة والمرارة، وقد أسهم أسلوب النداء في إبراز دلالة الجزع الذي كشفت الألفاظ حضوره بقوة.

خلال هذا الفصل تعرضت للموسيقى في شعر (الطغرائي)، وتبين كيف حافظ عليها بنوعيها: الخارجية متمثلة في الوزن والقافية، والداخلية متمثلة: في التصريع والتكرار الموسيقي المتمثل في: موسيقى الحرف، وموسيقى الكلمة، وموسيقى الأسلوب، وقد أجاد استخدام إمكانيات كل بحر، ونوع في موسيقاه بما أعطاه طابعا جديداً، ونقله من حال إلى حال، كما جاءت قوافيه موحدة ليس فيها تنوع؛ حفاظًا على تقاليد القصيدة العربية القديمة، وفي كل الأحوال جاءت أوزانه وقوافيه– في شعر الصبر والجزع– متسقة مع غرضة، مما منح شعره موسيقية غامرة يستعذبها القارئ، يستشعرها المتلقي.

(١)قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة ،ص ٢٧٧.

(٢)أصول النقد الأدبى، أحمد الشايب، ص ١٣٤ (بتصرف).

(٣) الديوان، ص٢٤٤.

الخاتمة

الحمد لله على تمام نعمه وكمال آلائه، وصلاة وسلامًا على –خير خلق الله– سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ..

ثم أما بعد

فقد أنهيت –بعون الله وتوفيقه– هذا البحث: "الصبر والجزع في شعر الطغرائي دراسة تحليلية"، وكنت قد قدمت له بمقدمة، أعقبتها بتمهيد عرضت فيه تعريفًا موجزًا بالشاعر، وتليته بالكشف عن معنى الصبر والجزع، وقد جاءت الدراسة في فصلين، وستة مباحث، تناولت فيها نتاج الشاعر في هذا الجانب، مستقرئا ما أمكن من مضامين فكره، وخصائص فنّه، وأسفرت الدراسة عن عدد من النتائج، من أهمها.

١– أن (الطغرائي) شاعر عبقري قدير، يتمتع بصفاء الحس الشعري الذي لا يتوافر عند الكثير من شعراء عصره وما تلاه من العصور، فهو ذلك الغواص الماهر، البصير بجواهر الكلام، المدقق المرهف الحس والمشاعر، إذا تصبَّر في شعره تماسك وكأنه عالم رباني حكيم تنساب كلماته بردًا وسلامًا على القلوب، وإذا حزن أو جزع بكت كلماته وانصهرت داخل كيانه، حتى يبدو كالصبي الذي أصابه الوَلَهُ، يبكيه كل من رآه أو سمع شكواه.

٢– كَثُرَ استعمال مفردة الصبر ومسمياته، في حين كان حضور لفظة الجزع قليلا، وقد عبر عنه الشاعر بالمفردات الدالة عليه كالملل والسأم، أو الإيحاء الذي تبعثه مفردات أخرى ضمن سياق التعبير عن جزعه.

٣– كان الجزع نتيجة طبيعية لشدة الإحساس بالحزن والضعف أمام سطوة الألم، ولاسيما عند فقد الأحبة أو فراقهم؛ مما أنتج شعرًا أقوى تأثيرًا في المتلقي منه في البواعث الأخرى.

٤– مَثَّل البكاء مظهر الجزع الأكثر حضورًا في شعره، وربما دفعه ذلك إلى تجاوز بعض الحدود الإيمانية التي ينبغي للمسلم أن يقف عندها، كرفض

التصبر وإظهار اليأس، والحق أنّ العذر مبذول للشاعر، ولا يُعقل أن ننتظر منه تحت وطأة صدمة الفقد، فكرًا سديداً، أو منطقا رصينا.

٥- في ضوء تحليل مثيرات الصبر والجزع في مجال بناء شخصية الإنسان العقلية والاجتماعية والروحية، يمكن تحويل هذا الشعر إلى أنماط سلوكية تغرس الايجابي منها في نفوس أبناء الوطن كبارًا وصغارًا؛ بهدف بناء مجتمع حضاري قوي، قادر على مواجهه الأزمات بقوة إرادة وعزم لا يلين، وأمل لا يخبو في نيل أجر الصابرين.

٦- أظهرت الدارسة أن الطغرائي لم يدخر وسعا في توظيف كل ما أتيح له من إمكانيات فنية للتعبير عن إحساسه.

٧- جرت ألفاظ الطغرائي مجرى السهولة، وابتعدت عن المعجمية الشديدة، أو الإلغاز – إلا في القليل النادر- وناسبت حالته النفسية في التعبير عن صبره أو جزعه، فاشتدت في موضع الشدة، ولانت في مواطن الرقة.

٨- أسلوب الحوار له كبير أثر في التأثير على المتلقي بالاستجابة والإصغاء، ونفاذ المعنى إلى قلبه، وهو سمة بارزة في شعر الصبر والجزع عند الطغرائي.

٩- أن التشكيل الإيقاعي الدلالي متوفر عند هذا الشاعر، النقي الفطرة، المتمرس في الدربة، الكامل العُدّة، وهو ما مكنه ليصبح ذلك السباح الماهر، والفحل المشتهر.

لذا فإنني- من منطلق دراستي لشعر الصبر والجزع عند هذا الشاعر- أوصي كل باحث في الأدب أن يولي شعر (الطغرائي) شيء من العناية والاهتمام؛ ففيه الكثير من جماليات النص والارتقاء باللغة في كل المستويات. كما أوصى كل شاعر أن يقرأ التراث الشعري، حتى يكتسب الدربة، ويتمكن الإيقاع فيه، ويرى اللغة في أنضر شواهدها، وأفصح نماذجها، فإذا اكتسب ذلك، كان له الخيار في أي قالب يصب شعره، وأي مذهب شعرى ينتهج.

ثبت المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- **ديوان الطغرائي**، تحقيق: علي جواد الطاهر، ويحيى الجبوري،، مطابع الدوحة الحديثة- الدوحة ، قطر_، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م،.
- إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي أسلوبي، د.محمد العبد، مكتبة الآداب القاهرة الطبعة الأولى٢٠٠٧م.
- الاستذكار، أبو يوسف بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢هـ - ٢٠٠٠م.
- الأسلوبية العربية(دراسة تطبيقية)، أحمد طاهر حسنين ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
- الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، ط١٥ – أيار، مايو ٢٠٠٢م.
- أغراض من الشعر العباسى بين: الرؤية والتشكيل الصورى، د. صبرى أبوجازية، دار الهانى للطباعة والنشر، ط١ ،٢٠١٠م.
- أهدى السبيل إلى علمي الخليل: العروض والقافية، محمود مصطفى، ت: عمر فاروق الطباع ، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت- لبنان ، د. ط، ٢٠٠٥م.
- إيقاع الشعر العربى: من الدائرة إلى الحرف، د.أحمد فوزى الهيب، دار القلم العربى-دار الرفاعى -سوريا-حلب، ط:١، ٢٠٠٤م.
- البديع في ضوء أساليب القرآن، د. عبدالفتاح لاشين، دار المعارف- مصر ١٩٧٩م.
- البديع من المعانى والألفاظ، د.عبدالعظيم إبراهيم محمد المطعنى، مكتبة وهبة-القاهرة، ط: ٢، ٢٠١٥ م.
- بكاء الناس على الشباب وجزعهم من المشيب ، تصنيف أبن الجوزي عبد الرحمن بن علي(ت٥٩٧ هـ) تحقيق هلال ناجي ، مجلة المورد المجلد الثاني، العدد الثالث ١٩٧٣م.

- البلاغة العربية"، عبدالرحمن بن حسن حبَنّكة الميدانى الدمشقى، دار القلم –بيروت، ط ١، ١٩٩٦ م.
- البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبدالمطلب، مكتبة لبنان–القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.
- البيان والتبيين ،الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق ، عبد السلام هارون المدني مصر الطبعة الخامسة ١٩٨٥م.
- تاج العروس من جواهر القاموس ، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيد ، تحقيق، مجموعة من المحققين، مطبعة حكومة الكويت١٣٨٥هـ–١٩٦٥م.
- التفسير النفسى للأدب، د.عز الدين إسماعيل، مكتبة غريب–القاهرة، ط:٤، د.ت.
- التقديم والتأخير في القران الكريم ،د.احمد عيسى العامري دار الشؤون الثقافية العامة _بغداد الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
- التكرار في الشعر الجاهلي(دراسة أسلوبية)، د. موسى ربايعة، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد الخامس ،العدد الأول ١٩٩٠م.
- التناص فى الخطاب النقدى والبلاغى (دراسة تطبيقية) ، د. عبدالقادر بقشى، دار أفريقيا الشرق–المغرب، د.ط، ٢٠٠٧.
- ثنائية الصبر والجزع في الشعر الاندلسي دراسة أسلوبية، بشرى عبد عطية، نشر دار الفراهيدي – بغداد، ط١، ٢٠١٣م.
- جماليات الخبر والإنشاء(دراسة بلاغية جمالية نقدية، د.حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، ط٢، ٢٠٠٥م.
- جواهر البلاغة في المعانى والبيان والبديع ،السيد أحمد الهاشمى، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلى،ط:١، المكتبة العصرية – بيروت، ١٩٩٩م.
- خصائص التعبير القرآنى وسماته البلاغية، عبدالعظيم المطعنى، مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

- ديوان ابن المعتز، فسر الفاظه الغريبة ووقف على طبعه: عبد الباسط الأنسي، مطبعة الإقبال – بيروت، (د،ط)، ١٣٣٢هـ.
- شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية " الأربعة آلاف شاهد شعري"، محمد بن محمد حسن شُرَّاب، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م.
- الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، إليزابيث درو، ترجمة : د. محمد إبراهيم الشوش، منشورات مكتبة منيمنه – بيروت.
- الشيب في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ،ثائر سمير حسن الشمري، رسالة ماجستير جامعة بغداد كلية الآداب ١٩٩٨م.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشباري النسيابوري، تحقيق . نظر بن محمد الفريابي أبو قتيبة، دار طيبة –الرياض– الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
- الصورة الشعرية عند ابى القاسم الشّابى ،د. مدحت الجيار، دار المعارف– القاهرة، ط ٢ ،١٩٩٥م.
- الصورة الفنية في شعر الطائيّين بين الانفعال والحس، د. وحيد صبحي كبَّابَه، اتحاد الكتاب العرب–سورية،د.ط،١٩٩٩م،
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، الإمام أبن قيم الجوزية ،مراجعة وضبط وتعليق، محمد علي قطب ،دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨.
- علم البيان، عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت–لبنان، د.ط،١٩٨٢م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبن رشيق القيرواني، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل بيروت الطبعة الرابعة١٩٧٢م.
- عود على بدء دراسة في إيقاع الشعر، شفيق عبد الرازق أبو سعدة ،ط٣، (د–ت).
- الغربة والاغتراب والشعر، عبده بدوي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ١٩٨٨م.

- فى النقد التطبيقى والمقارن، د.محمد غنيمى هلال، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: ٢، ٢٠٠٩م.
- في الإبداع الأدبي المعاصر، مفيدة إبراهيم علي، دار السعودية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ٢٠٥م.
- قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، دار العلم للملايين-بيروت-لبنان، ط:٥، ١٩٧٨م.
- قضايا النقد الأدبى المعاصر، د. محمد القاسمى، ط١، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع-عمّان،٢٠١٠م.
- القيم الجمالية في الشعر الأندلسي: عصر الخلافة والطوائف، آزاد محمد كريم الباجلاني، ط١، دار غيداء للنشر عمان- الأردن، ٢٠١٣م.
- القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه(حتى منتصف القرن العشرين (١٩٥٠م)، ثريا عبد الفتاح ملحس ،مكتبة المدرسة ،ودار الكتب اللبناني للطباعة والنشر بيروت(د.ت.).
- كتاب الصناعتين، مكتبة والشعر، تصنيف، أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، ت: محمد علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧١هـ - ١٩٧٦م.
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة السابعة، ٢٠١١م .
- اللون ودلالته الموضوعية والفنية في الشعر الأندلسى من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربى، د. على اسماعيل السامرائى، ط ١، دار غيداء للنشر-عمّان،٢٠١٣ م.
- المذاهب الأدبية في لشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية، علي صبح، تهامة، جدة- السعودية، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، دار المعارف، (د- ط)، (د – ت).

- معالم الحياة وأثرها في الشاعرية والإبداع الفني لابن حد يميس الصقلي، الحسيني محمد إبراهيم الفقي، مجلة اللغة لعربية بالزقازيق، العدد التاسع والعشرون، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.
- معجم الأدباء إرشاد الأديب إلى معرفة الأريب، ياقوت الحموي الرومي، تحقيق: د. إحسان عباس،، دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
- مقال بعنوان "تراسل الحواس في شعر الشيخ أحمد الوائلي"،م.م كاظم عبد االله عبد النبي عنوز، مجلة مركز دراسات الكوفة،العد٢٠٠٧،٦م.
- مقال بعنوان "شعر دعبل الخزاعي بين توهج العاطفة وعمق الانتماء"، م .د. ستار عبد الله جاسم، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد: ٣٨، ٢٠١٥ م.
- مقدمة الغيث المسجم في شرح لامية العجم، الصفدي، ضبط وشرح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
- مقدمة القصيدة العربية في الشعر الأندلسي (دراسة موضوعية فنية)، هدى شوكت بهنام،دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ٢٠٠٠م..
- موسيقى الشعر: د.إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو مصر الطبعة السادسة، ١٩٨٨م.
- موسيقى الشعر العربى (دراسة فنية وعروضية)، د. حسنى عبدالجليل يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب،د.ط،١٩٨٩م.
- موسيقى الشعر العربى قديمه وحديثه، دراسة وتطبيق في شعر الشطرين والشعر الحر، د. عبدالرضا على، دار الشروق-عمان -الأردن ، ط:١، ١٩٩٧م.
- موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور د.صابر عبد الدايم مكتبة الخانجي مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م.
- موقع ويكيبيديا - الموسوعة الحرة -موقع إلكتروني على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)./https://ar.wikipedia.org/wiki

- النقد الأدبي(أصوله ومناهجه)، سيد قطب، دار الفكر العربي – مصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٤م.
- النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار الثقافة بيروت ودار العودة، ١٩٧٣.
- الوحدة في شعر أبن قيس الرقيات(دراسة في تحولات الدلالة وسمات التشكيل اللغوي)، د.طارق سعد شلبي، دار البراق القاهرة الطبعة الأولى٢٠٠٣ م.
- الوطن في الشعر الأندلسي(دراسة فنية)، د.عبد الحميد شيحه، مكتبة الآداب القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٨م.